الفرائد القرآنية وأسرارها البيانية
دراسة تطبيقية على سورتي الأنفال والتوبة

إعداد

مجدي محمد محمد أحمد عبدالله

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة

الفرائد القرآنية وأسرارها البيانية دراسة تطبيقية على سورتي الأنفال والتوبة

مجدي محمد محمد أحمد عبدالله
قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة
البريد الالكتروني: agdyAhmed.33@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى إبراز جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن الكريم المتعلق بألفاظ القرآن ، حيث تتناول هذه الدراسة أسرار التعبير بالفرائد القرآنية الواردة في سورتي الأنفال والتوبة ، وتكشف عن أسباب اختيار هذا الألفاظ المتفردة دون غيرها ، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ، أما المقدمة: فتشتمل على أسباب اختياري لهذا الموضوع ، ومنهجي في البحث، وحدود البحث، وخطة البحث ، وأما التمهيد : فقد قسمته إلى ثلاثة مطالب : تناولت في المطلب الأول: التعريف بمصطلح "الفرائد القرآنية "، وفى المطلب الثاني : وضحت جهود العلماء في دراسة الفرائد القرآنية ، وفي المطلب الثالث: تناولت الأسرار البيانية في التعبير بالفرائد القرآنية ، وأما المباحث فهي أربعة ،

تناولت في المبحث الأول : التعريف بسورة الأنفال ، وفي المبحث الثاني: تناولت : الفرائد القرآنية في سورة الأنفال وهي أربعة :"الشوكة – زحفا – متحيزا .– فشرد بهم" ، وأما المبحث الثالث : فتناولت فيه التعريف بسورة التوبة ، وفي المبحث الرابع : تناولت الفرائد القرآنية في سورة التوبة ، وهي أربعة " جباههم – فثبطهم – يجمحون – جرف"، واهتممت في هذه الدراسة بذكر الدلالات اللغوية للفرائد المذكورة ، وعرض أقوال المفسرين فيها ، وبيان أسرار التعبير بها ،ثم كانت الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات ، وخلاصة النتائج : أن كل فريدة من فرائد القرآن قد وضعت في موضع سديد ، ومكان رشيد، ولو حاولنا أن نضع مكانها لفظة أخرى لاختل النظم وتغير النسق ، وفات الغرض المقصود من الكلام ، وأنه من أبرز الأسرار البيانية في التعبير بهذه الفرائد: (اتساع الدلالة – إفادة معنى لطيف دقيق – مناسبة السياق – الاختصار والإيجاز – مراعاة الفواصل – تصوير المعني – التفرد بوجه بلاغي – التناغم الصوتي).

الكلمات المفتاحية : الأسرار ، البيانية ، الفرائد ، القرآنية ، الأنفال ، التوبة .

Quranic unique words and their rhetoric secrets An applied study on Surat Anfal and Al Tawba

Majdi Mohamed Mohamed Ahmed Abdullah
Interpretation and Quranic Sciences Department, Faculty of Islamic and Arab Studies, New Damietta
Email: agdyAhmed.33@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to highlight one aspect of the manifestation of the Holy Quran on the words of the Quran. This study examines the secrets of the expression of Quranic unique word choices contained in Sorat Al Anfal and Al Tawba. It reveals the reasons for the choice of these unique words only .
the research includes an introduction, a preface, four sections, and a conclusion as it includes optional reasons for this topic, methodological research, research limits, and a research plan. The preface is divided it into three claimants: in the first, it dealt with: The definition of the term "Quranic unique words", and in the second requirement: the efforts of the scholars in the study of Quranic unique words, and in the third requirement: I have addressed the data secrets in the expression of and the third section: The definition of "Surat Al Tawba", and the fourth section: The Quranic unique words of the Holy Koran in Surat Al Tawba that are four "Gebahom - Fathabatahom- Yagmahoon- garff". In this study, I am interested in mentioning the linguistic connotations of the mentioned unique words, presenting the words of their interpreters, good position, and in a rational place, and if we try to place it in place another word for disruption of systems and change of format, it has fulfilled the intended purpose of speech, and it is one of the most prominent rhetoric secrets in the expression of these pioneers: (breadth of connotation - the benefit of a gentle and precise meaning - the occasion of the context - shortcut and brevity - observance of the commas - portrayal of the subject - rhetorical singularity - vocal harmony).

Keywords: Secrets, Rhetoric, Unique Words, Quranic, Al Anfal, Al Tawba.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله أجمعين ، سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فإن القرآن الكريم حجة الله البالغة ، ومعجزته الباقية ، تحدي الله به الإنس والجن فعجزوا عن معارضته، وانهزموا أمام بلاغته ، فاقت فصاحته أساطين الأدباء، وأعيت بلاغته أكابر العلماء ، وقد أدرك علماء الأمة هذه الحقيقة ، فاتجهت عنايتهم منذ زمن بعيد نحو استخراج كنوزه ، واستنباط حكمه وأحكامه ، والتعرف على أسراره، وإبراز وجوه إعجازه ، ومن وجوه الإعجاز التى ذكرها علماؤنا " الإعجاز البياني " للقرآن الكريم ، ومن صور هذا النوع من الإعجاز : استخدام القرآن الكريم لألفاظ فريدة لم تذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة ، وفي مواضع معينة، ولم تأت على أية صورة من صور الاشتقاق المعروفة ، ولم تتكرر مادتها اللغوية، وهذا ما سماه علماؤنا : "الفرائد القرآنية "، ولكل فريدة من هذه الفرائد إشارات بلاغية رائعة ، وأسرار بيانية بديعة ، وكل فريدة منها قد وضعت في موضع سديد ، ومكان رشيد ، لو حاولنا أن نضع مكانها لفظة أخرى لاختل النظم ، وتغير النسق ، وفات الغرض المقصود ؛ ولذا أوثر التعبير بها دون غيرها من شبيه أو قريب في المعنى ، وإذا كنا نقول إن كل كلمة في القرآن لها دلالة ومغزى ، فما بالنا بهذه الكلمات الفرائد التى لم تذكر إلا مرة واحدة وفي مواضع معينة ؟ وإذا كان التدبر في مطلق ألفاظ القرآن من المهمات، فهو في الفرائد ألزم وأوجب .

وقد بحث علماؤنا هذه الفرائد ، والتمسوا في ذكرها حكما بلاغية وأسرارا بيانية ، غير أن هذا الحقل من الدراسات القرآنية لا زال بحاجة إلى مزيد من البحث والدرس ، وما قُدم فيه من بحوث ودراسات ومعالجات نظرية أو تطبيقة لا يعكس حقيقة ما انطوي عليه هذا الباب من أسرار ودلالات .

وقد يسر الله –تعالى– لي بحث هذا النوع من الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، للكشف عن بعض أسرار التعبير القرآني في استخدامه لهذه الفرائد ، وذلك من خلال سورتي الأنفال والتوبة ، سائلا المولى –سبحانه وتعالى– في بداية عملي هذا العون والتوفيق والسداد .

أسباب اختياري لهذا البحث :

دفعني للكتابة في هذا الموضوع –بعد توفيق الله وعونه وهدايته – عدة أمور ، أجملها على النحو الآتي :

١- إبراز وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، المتعلق بدقة النظم القرآني في استخدام ألفاظه ومفرداته ، على نحو يؤكد إعجاز القرآن وجودة سبكه وبديع إحكامه .

٢- إلقاء الضوء على جهود علمائنا في دراسة هذا الوجه من وجوه الإعجاز القرآني ، وذلك من خلال التتبع والاستقراء لما ذكروه في هذا الجانب تصريحا أو تلميحا.

٣- التعرف على منهج القرآن في اصطفاء مفرداته، وانتقاء ألفاظه ، وفهم الأسس التى يبنى عليها هذا الاختيار ، وأسباب اختيار فريدة ما في سياق ما .

٤- استكمال الجهود المعاصرة التى بدأها بعض أساتذتنا وزملائنا في تناول موضوع الفرائد القرآنية في كتاباتهم وأبحاثهم ، فقد سبقني إلى هذا الخير بعض علمائنا المعاصرين.

٥- عدم وقوفي على دراسة مستقلة للفرائد القرآنية فى سورتي "الأنفال والتوبة" ، مما دفعني للبحث في هذا الموضوع ، والكشف عن أسرار التعبير بها.

منهجي في الدراسة :

اعتمدت في بحثي هذا منهجين من مناهج البحث العلمي :

أولهما :المنهج الاستقرائي : وذلك عن طريق استقراء الفرائد القرآنية في سورتي الأنفال والتوبة وحصرها وترتيبها وفق ورودها في السورتين الكريمتين .

الثاني : المنهج التحليلي الاستنباطي : وذلك من خلال تحليل هذه الفرائد، ودراستها واستنباط أسرار التعبير بها دون غيرها.

خطوات البحث :

١- جمعت الفرائد القرآنية الواردة في سورتي الأنفال والتوبة ، معتمدا في ذلك على المعاجم المهتمة بحصر فرائد القرآن، ويأتي في مقدمتها : "معجم الفرائد القرآنية" للدكتور/ باسم البسومي.

٢- رتبت الفرائد حسب ورودها في السورتين الكريمتين كما في المصحف ذاكرا اسم السورة ورقم الآية.

٣- صدرت الدراسة بذكر السياق العام للآية الكريمة، التى وردت فيها الفريدة على نحو موجز ، توطئة لتيسير فهم النص قبل الحديث عن الأسرار البيانية لهذه الفريدة القرآنية .
٤- ذكرت بعد ذلك الدلالات اللغوية الواردة في معنى كل فريدة ، وذلك من خلال ما ورد في معناها في كتب اللغة والمعاجم .
٥- جمعت أقوال المفسرين في معنى كل فريدة ، وذلك من خلال الرجوع إلى أمهات كتب التفسير والمصادر الأصيلة في هذا الباب .
٦- عرضت بعد ذلك لأسرار التعبير بهذه الفريدة دون غيرها من الألفاظ والمفردات الأخرى ، وبينت سر مجيئها على هذا النسق مستعينا في ذلك بدلالات الكلمة اللغوية، وما حوته هذه الدلالات من معان وأسرار ، وما اشتملت عليه من لمسات بيانية ونكات بلاغية.
٧- دعمت البحث بما يلزم من الآيات والأحاديث وأشعار العرب، مع الالتزام بعزو الآيات إلى سورها، وتخريج الأحاديث من مصادرها الصحيحة الأصيلة ، وتوثيق الأبيات الشعرية من مصادرها المعتمدة.
٨- ترجمت لكثير من الأعلام الوارد ذكرهم في البحث -من غير المشهورين- ، وتركت بعضهم ممن اشتهر خشية الإطالة.
٩- شرحت بعض الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى شرح وبيان في الحاشية مع ضبطها بالشكل .

حدود البحث

محور هذه الدراسة "الفرائد التي وردت في سورتي الأنفال والتوبة"، للكشف عن الأسرار البيانية في التعبير بها دون غيرها من الألفاظ والكلمات التى تقاربها في المعني .

مشكلة البحث :

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة الرئيسة :
١- ما المراد بمصطلح "الفرائد القرآنية " ؟
٢- من أبرز العلماء المهتمين بدراسة الفرائد القرآنية ؟
٣- ما الأسرار البيانية العامة في التعبير بهذه الفرائد دون غيرها ؟
٤- ما الفرائد القرآنية الواردة في سورتي الأنفال والتوبة ؟
٥- ما الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية الواردة في سورة الأنفال ؟
٦- ما الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية الواردة في سورة التوبة ؟

الدراسات السابقة :

لم أقف–في حدود اطلاعي– على بحث مستقل تعرض لدراسة الفرائد القرآنية في سورتى الأنفال والتوبة ، لذا قمت بجمع الفرائد في هاتين السورتين الكريمتين ، ودراستها دراسة تطبيقية ، مبينا الدلالة اللغوية لكل فريدة، وأقوال المفسرين في معناها ،ثم ذكرت أسرار التعبير بهذه الفرائد في موضعها.

غير أني أفدت كثيرا من الأبحاث والدراسات المعاصرة التى عنيت بدراسة الفرائد القرآنية عموما ، وكذا دراسة الفرائد في بعض السور ، وهي دراسات رائعة ماتعة ، فتح الله بها الباب ، ويسر لي من خلالها الأسباب لدراسة هذا الموضوع ، ومن هذه الدراسات التى أفدت منها كثيرا :

١- معجم الفرائد القرآنية للدكتور/باسم سعيد البسومي ، وهو معجم متخصص في حصر الفرائد القرآنية واستخراج معانيها من معاجم اللغة وكتب التفسير المعنية بالجانب اللغوي ، وهذه الدراسة دراسة معجمية بحتة ، وأبرز ما يميزها عن غيرها جمع الفرائد القرآنية في كتاب مستقل، مما يساعد الباحثين المهتمين بهذا الجانب في حصر هذه الفرائد بدقة شديدة في كل سورة من سور القرآن الكريم .

٢-كتاب "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية" ، للأستاذ الدكتور / عبد الله سرحان ، وهذا الكتاب من أروع ما كتب في الفرائد القرآنية ، وهو من الدراسات القرآنية المعاصر للفرائد القرآنية ، وقد تحدث فيه مؤلفه عن الفرائد القرآنية الواردة في القصص القرآني فقط.

٣-رسالة ماجستير بعنوان "مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم دراسة لغوية" ، (جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٠٠)، للباحث/محمود عبد الله يونس، وفي هذه الرسالة تناول الباحث بعض الفرائد القرآنية بالدراسة "الصوتية والصرفية والمعجمية" ، ولم يتعرض للدراسة الجمالية البلاغية ، ولذا فقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة الفرائد القرآنية من الناحية البلاغية .

٤- كتاب "الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها" للباحث /عاطف المليجي ، وهذه الدراسة عبارة عن كتيب صغير ذكر فيه الباحث كثيرا من فرائد القرآن ، ووضح الباحث معناها في كتب اللغة بإيجاز شديد ، ولم يتطرق الى ذكر اللمحات البيانية في هذه الفرائد .

٥- بحث علمي بعنوان :"بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم الفعل المضارع نموذجا" للدكتور / كمال عبد العزيز إبراهيم ، وهذه الدراسة

تختص بدراسة ما جاء من فرائد القرآن على صيغة الفعل المضارع فقط ، كما هو واضح من عنوان البحث .

٦- بحث علمي بعنوان : "فرائد اسم الفعل في القرآن الكريم دراسة بلاغية" للدكتور / السيد محمد سالم العوضي، وقد اقتصر فيه على دراسة ما جاء من فرائد القرآن على صيغة اسم الفعل.

٧- بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين بأسيوط في عددها الثامن والثلاثين (٢٠٢٠م) بعنوان(فتح الرحمن في الكشف عن فرائد القرآن سورة الأنبياء أنموذجا) للدكتور/ محروس رمضان حفظي.

٨- بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين بأسيوط في العدد التاسع والثلاثين (٢٠٢١م) بعنوان: (كشف اللثام عن بعض أسرار الفرائد القرآنية في سورة آل عمران) للدكتور/ محمود حسن علي محمود.

٩- بحث منشور بمجلة كلية أصول الدين بأسيوط في العدد السادس والثلاثين الجزء الرابع (٢٠٢٢م) بعنوان (الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية" سورة النساء أنموذجاً") للدكتور/ رضا محمد أحمد عبدالنبي .

خطة البحث

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة : فتشتمل على أسباب اختياري لهذا الموضوع ،ومنهجي في البحث، وحدود البحث، ومشكلاته، والدراسات السابقة التى أفدت منها ، وخطة البحث .

وأما التمهيد فقد قسمته إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بمصطلح " الفرائد القرآنية " .

وفى المطلب الثاني : جهود العلماء في دراسة الفرائد القرآنية .

وفى المطلب الثالث : الأسرار البيانية في التعبير بالفرائد القرآنية .

وأما المباحث فقد جاءت في أربعة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بسورة الأنفال.

المبحث الثاني : الفرائد القرآنية في سورة الأنفال.

الفريدة الأولى : لفظ " الشوكة " .

الفريدة الثانية : لفظ " زحفا ".

الفريدة الثالثة : لفظ " متحيزا " .

الفريدة الرابعة : لفظ " فشرد بهم ".

المبحث الثالث : التعريف بسورة التوبة.

المبحث الرابع : الفرائد القرآنية في سورة التوبة.

الفريدة الأولي : لفظ "جباههم".

الفريدة الثانية : لفظ "فتبطهم".

الفريدة الثالثة : لفظ " يجمحون".

الفريدة الرابعة : لفظ " جرف".

الخاتمة : وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال هذا البحث

التمهيد

المطلب الأول: التعريف بمصطلح "الفرائد القرآنية"

تعريف الفرائد في اللغة :

الفرائد: جمع "فريد وفريدة" ، والفريد والفريدة : "الشيء الذي لا نظير له ، ويطلق أيضا على الدر المنظوم إذا فصل بغيره ، وعلى الشذر وهو : الخرز الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب في العقد، وعلى الجوهرة النفيسة التى عز نظيرها ، ويقال في كلام العرب: استفرد الغواص هذه الدرة أي: لم يجد معها أخرى ، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد ، وهو الدر الذي يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرد"[1].

يقول العلامة ابن فارس[2] : " الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة ، ومن ذلك الفرد وهو الوتر، والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره، والفارد والفرد: الثور المنفرد ، وظبية فارد: انقطعت عن القطيع، وكذلك السدرة الفاردة، هي التي انفردت عن سائر السدر، وأفراد النجوم: الدراري في آفاق السماء"[3] .

ويقول ابن منظور[4] : " والفَرْد : منقطع القرين لا مثل له في جودته ، واستفرد الشيء : أخرجه من بين أصحابه ، وأفرده : جعله فريدا ، والفرائد :

١-مختار الصحاح : الرازي، ص(٢٣٦) "ف ر د"، طبعة : المكتبة العصرية – بيروت – الخامسة١٤٢٠هـ، وأساس البلاغة : الزمخشري (١٥/٢) " ف ر د" ، طبعة : دار الكتب العلمية –بيروت– الأولى ١٤١٩هـ .

٢- الإمام العلامة ، اللغوي الأديب ، أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني ، المالكي ، اللغوي ، نزيل همذان ، من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع بين إتقان العلماء وظرف الكتاب والشعراء ، كان رأسا في الأدب ، مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق ، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين ، من أشهر مصنفاته : المجمل في اللغة، وحلية الفقهاء، والصاحبي، ومعجم مقاييس اللغة، وجامع التأويل في تفسير القرآن ، مات بالري في صفر سنة (٣٩٥) هـ ينظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي (٤٦٣/٣) ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ.

٣-مجمل اللغة : ابن فارس (٧٢٠) "فرد" ، طبعة : مؤسسة الرسالة –بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤-هو: العلامة اللغوي محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري =

الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب ، واحدته فريدة ، وقيل : الفريد بغير هاء :الجوهرة النفيسة كأنها مفردة من نوعها ، والفرّاد : صانعها ، وذهب مفرد : مفصل بالفريد" [١] .

ومن جملة هذه المعاني اللغوية نستخلص أن الفريدة هي : الشيء النفيس الذي لا نظير له ، سواء أكان ماديا كالذهب والدر ، أم معنويا كالكلام الفريد المفصل ، وسر تفرده انعدام نظيره ، وتعذر وجود شبيهه المساوي له .

تعريف الفرائد اصطلاحا : عرفها العلامة اللغوي ابن أبى الأصبع [٢] بقوله :" هي إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد ؛ لتدل على عظم فصاحته وقوه عارضته وشده عربيته، حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها، أي: خسرانها وفقدانها" [٣]

وقال ابن فارس في تعريفها: "هي الألفاظ التي لا نظير لها ، فهي متوحدة فيما تدل عليه من معنى ، بعكس الألفاظ ذات المعاني المتعددة الوجوه"[٤] ، هذا بعض ما قيل في تعريف مصطلح " الفرائد " بصفة عامة .

=

الإفريقي، صاحب (لسان العرب) ،ولد بمصر، وقيل: في طرابلس، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، من أشهر مصنفاته :(لسان العرب) جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا ، توفي سنة (٧١١) هـ . ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي (١٠٦/١) ، طبعة : مطبعة السعادة –القاهرة– الأولى ١٣٢٦هـ.

١– لسان العرب : ابن منظور (٣٣٢/٣) "فرد"، طبعة: دار صادر –بيروت– الثالثة ١٤١٤هـ.

٢– هو: العلامة ذكى الدين بن عبد العظيم بن عبد الواحد المصرى، المتوفى سنة ٦٥٤هـ، وله من المصنفات "البديع"، وكتابه " الخواطر السوانح"، وقد ذكر هذا الكتاب صاحب كشف الظنون، وأشار إليه السيوطى فى كتابه " الإتقان "، توفي سنة (٦٥٤) ، ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (٤٥٨/٧) ، طبعة: دار ابن كثير–بيروت –الأولى ١٤٠٦هـ ، وفوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي(٣٦٤/٢) ، طبعة:دار صادر –بيروت– الأولى ١٩٧٣م.

٣– تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الأصبع، ص(٥٧٦)، طبعة : الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، بدون.

٤– أفراد كلمات القرآن العزيز:ابن فارس، ص(٥) ، طبعة : دار البشائر– دمشق– الأولى =

أما المقصود بالفرائد القرآنية فقد ذكر في تعريفها الدكتور / عبدالله سرحان ما نصه :" الفرائد القرآنية هي : تلك الألفاظ التى ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها" [١]. وعليه فالفرائد : "كلمات اكتسبت صفة الفردية، بداية لكونها ألفاظاً قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني ، وكذلك لكونها تعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقا قويا ، بحيث لا يغني غيرها غنائها في موضعها ، وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها ، ثم إنها اكتسبت صفة أخرى أكثر تخصيصا وتقييدا ، وهي كونها فذة متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة ، ولم تتكرر في أي سياق آخر"[٢]

=

١٤٢٣هـ.

١- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/عبدالله سرحان ص(٦) ، طبعة : مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية- المملكة العربية السعودية – الأولى ١٤٣٣هـ.

٢- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم : د/ كمال عبدالعزيز إبراهيم ص(٤) ، طبعة : الدار الثقافية للنشر- القاهرة – الأولى ٢٠١٠م.

المطلب الثاني : جهود العلماء في دراسة الفرائد القرآنية

عُني كثير من علمائنا – قديما وحديثا– بدراسة الفرائد القرآنية ، والبحث في أسرار التعبير بها ، ويمكن أن نلخص هذه الجهود المباركة في محورين رئيسين :

المحور الأول : جهود العلماء القدامي:

أولا : ابن أبي الأصبع:

في كتابه "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر" تحدث العلامة ابن أبي الأصبع عن الفرائد تحت عنوان (باب الفرائد) ، وتناول الفرائد بالتعريف السابق ، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة ، ثم استشهد على ذلك ببعض الفرائد الواردة في شعر العرب .

ومن ذلك استشهاده بقول أبى نواس [١]:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[٢]

علّق ابن أبى الأصبع على ذلك بقوله:" إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ،ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور"[٣] .

ثم ذكر بعض الأمثلة من الذكر الحكيم ، فقال –رحمه الله – : "وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها، منها قوله –تعالى–: **(فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ)**[٤] ، وانظر إلى قول الله–تعالى–: **(فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا)**[٥]، فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر، وكقوله– عز وجل– : **(حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ)** [٦]، فانظر إلى لفظة " فُزّع " وغرابة فصاحتها ، تعلم أن الفكر لَا يقع على مثلها ، وكقوله –تبارك وتعالى–:

١–هو : الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكميّ ، شاعر العراق في عصره، من أشهر شعراء العصر العباسي ، ولد في الأهواز ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد ، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها، ،وقد نظم في جميع أنواع الشعر، توفي سنة (١٩٦). ينظر: نُزهة الأَلِبَّاء في طبقات الأدباء : ابن الأنباري (٦٥) ، طبعة : مكتبة المنار –الزرقاء– الأردن ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ ، وطبقات الشعراء : ابن المعتز (١٩٣) ، طبعة :دار المعارف –القاهرة–الثالثة –بدون.

٢– ديوان أبي نواس : ص(٤٣٢)، طبعة : مطبعة مصر –القاهرة – الأولى ١٩٥٣م .

٣–تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر : ابن أبي الأصبع (٥٧٦) .

٤– سورة الصافات : آية رقم (١٧٧) .

٥– سورة يوسف : آية رقم (٨٠) .

٦– سورة سبأ : آية رقم (٢٣) .

(يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ)[1]، فلفظ (خَآئِنَةَ) فى هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خَآئِنَةَ) سهلة مستعملة كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع فى شئ من فصيح الكلام شبهها، وأشباه ذلك في الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر" [2] .

وقد ذكر بعض الأمثلة من السنة، ومن ذلك قول الرسول-ﷺ-: (استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها)[3] ، يقول –رحمه الله – في التعليق على هذا الحديث النبوي الشريف " فالمح لفظتي (استذكروا، وتفصيا) لترى ما يذهل عقل السامع فصاحة، ويروعه جزالة وحلاوة"[4] .

وذكر كذلك قول السيدة عائشة –رضي الله عنها – : " إذا ذكر الصالحون فحيّ هلاً بعمر "[5] ، وقال " إن لفظة " حيّ هلاً " من الفرائد العجيبة ، وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح، وعلى هذه الأمثلة فقس ترشد إن شاء الله تعالى"[6].

ويبدو لى من كلام ابن أبي الأصبع وما استشهد به من آيات قرآنية أن الفرائد عنده تعني: الكلمة الغريبة في موضعها والتى تدل على معني يعز نظيره في غيرها ، والتى استخدمها القرآن بهذا اللفظ الوحيد المتفرد ، فلم تُذكر في أي موضع آخر ، بغض النظر عن استخدام القرآن لهذه الكلمة ببعض مشتقاتها في مواضع أخرى ، فلفظ "خائنة" مثلا ورد في القرآن بصيغ

---

١ – سورة غافر : آية رقم (١٩) .

٢– تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع (٥٧٧) .

٣– الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب :فضائل القرآن وما يتعلق به ، باب: الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها ، (٥٤٣/١) ، طبعة : مطبعة عيسي البابي الحلبي – القاهرة – الأولى ١٣٧٤هـ.

٤– تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع (٥٧٦) .

٥– الأثر أخرجه الإمام أحمد في مسنده : مسند النساء، مسند الصديقة عائشة (٧٧/٢٤) ، ، طبعة :مؤسسة الرسالة– بيروت– الأولى ١٤٢١هـ ، وأورده الهيثمي في "المجمع" (٧٨/٩)، وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

٦– تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع (٥٧٧).

ومشتقات أخري كقوله : (وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ)[١] ، وكقوله –تعالى-(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)[٢] ، وقد قصدت التنويه على هذا لأن كثيرا من العلماء قصر تعريف الفرائد على تلك الألفاظ التى لم يرد ذكرها إلا مرة واحدة ، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور ، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها .

ثانيا : ابن حجة الحموي [٣] :

تحدث الإمام اللغوي الأديب ابن حجة الحموي في كتابه الرائع (خزانة الأدب وغاية الأرب) عن الفرائد ، وعقد لها بابا خاصا ، يقول –رحمه الله –: " والفرائد: نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة[٤]؛ لأن المراد منه أن يأتي الناظم، أو الناثر، بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام

١- سورة يوسف : آية رقم (٥٣) .

٢- سورة الأنفال : آية رقم (٢٧) .

٣- هو : العلامة أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، الحنفي ، شاعر الشام ، إمام أهل الأدب في عصره ، من أهل حماة (بسورية) ولد ونشأ ومات فيها، زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها، وكان حسن الأخلاق والمروءة، ومن أبرز آثاره :(خزانة الأدب) ،و(ثمرات الأوراق) و(كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) ، توفي سنة (٨٣٧) هـ، ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : السخاوي (٥٣/١١) ، طبعة : دار مكتبة الحياة –بيروت – بدون، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (٣١٩/٩) ، طبعة دار ابن كثير–دمشق– سوريا الأولي ١٤٠٩هـ.

٤- هناك اتجاهان للعلماء في مسألة التفريق بين الفصاحة والبلاغة ، الاتجاه الأول : يرى أصحابه أنه لا فرق بين الفصاحة والبلاغة فهما لفظان مترادفان،لا يتصف بهما المفردات، وإنما يوصف بهما الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها ، أما الاتجاه الثاني : فيقول أصحابه بالتفريق بين الفصاحة والبلاغة ، وذكروا في الفرق بينهما وجوها عدة ، منها : أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفا للمعاني ، فلا يقال في كلمة واحدة بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغا، ، كذلك من وجوه التفريق بينهما عند أصحاب هذا القول أن البلاغة هي: أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده، مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة من غير إملال ، والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد، والقول الثاني هو ما تميل إليه النفس . ينظر: جواهر البلاغة : الهاشمي ، ص(١٧) طبعة : المكتبة العصرية–بيروت– بدون ، وسر الفصاحة : الخفاجي ، ص(٥٩) طبعة : دار الكتب العلمية –بيروت– الأولى 1402هـ.

منزلة الفرائد من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها، بحيث أن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها ومن الأمثلة التى ذكرها قوله تعالى: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي)[1] فقوله –سبحانه وتعالى– : أهش بها على غنمي، فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها.

ثالثا : الإمام السيوطي [2]:

في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) تحدث عن الفرائد ، وذكر بعض الفرائد القرآنية على سبيل الاستشهاد ، يقول – رحمه الله – : " والفرائد مختصة بالفصاحة دون البلاغة ؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد ، وهي الجوهرة التي لا نظير لها ، وهي تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته، بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرامتها ، ومنه لفظ (حصحص) في قوله – تعالى– : (ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ)[3] ، والرفث " في قوله: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ)[4] ، ولفظة " فزع " في قوله: (حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ) [5].

١– سورة طه : آية رقم (١٨)

٢– هو : العلامة المفسر النحوي اللغوي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الأسيوطي ، المعروف بجلال الدين السيوطي، ولد سنة (٨٤٩ هـ) ،رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، وكتب فيها المؤلفات البديعة ، ومن أشهر مصنفاته :الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والإتقان في علوم القرآن ، والمزهر في علوم اللغة ، والأشباه والنظائر، توفى سنة (٩١١)هـ . ينظر : طبقات المفسرين : الأدنه وي ، ص(٣٦٥) طبعة : مكتبة العلوم والحكم – السعودية– الأولى ١٤١٧هـ ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين السخاوي (٦٥/٤) ، طبعة : دار مكتبة الحياة –بيروت – الأولى ١٤١٢هـ.

٣– سورة يوسف : آية رقم (٥١).

٤– سورة البقرة : آية رقم (١٨٧).

٥– سورة سبأ : آية رقم (٢٣) ، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : السيوطي (٣٢٠/٣) ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة– الأولى ١٣٩٤هـ.

المحور الثاني : جهود العلماء المعاصرين

أولا : الشيخ / محمد رشيد رضا :

أشار في تفسيره إلى بعض أسرار التعبير بهذه الفرائد ، وهو وإن لم يذكر صراحة لفظ " الفرائد " إلا أنه صرح في بعض المواضع بأن هذه الكلمة ذكرت مرة واحدة في القرآن ، مبينا معني هذه الكلمة وسر التعبير بها ، ومن أمثلة ذلك : حديثه عن قول الله –تعالى– " فثبطهم " ، إذ يقول –رحمه الله– : " والتثبيط: التعويق عن الأمر والمنع منه بالتكسيل أو التخذيل، ولم ترد في التنزيل إلا في هذه الآية، والمعنى: كره الله نفرهم وخروجهم مع المؤمنين؛ لما سيذكر من ضرره العائق عما أحبه وقدره من نصره، فثبطهم بما أحدث في قلوبهم من الخواطر والمخاوف ، التي هي مقتضى سنته في تأثير النفاق، فلم يعدوا للخروج عدته ؛ لأنهم لم يريدوه، وإنما أرادوا بالاستئذان ستر ما عزموا عليه من العصيان"[١].

ثانيا : مصطفى صادق الرافعي :

عقد الرافعي –رحمه الله– بابا في كتابه الرائع(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) للحديث عن روعة النظم القرآني ، فذكر أن جهات النظم في القرآن ثلاث: في الحروف، والكلمات، والجُمل، وأثناء حديثه عن روعة النظم في الكلمات تعرض لفريدة من فرائد القرآن ، وأخذ يستنبط بجميل عبارته ورعة منطقه جملة من الدلالات البيانية والأسرار البلاغية التى تدل على الإعجاز البياني في اختيار هذه الفريدة القرآنية البديعة .

يقول –رحمه الله– : "وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة " ضِيزى " من قوله تعالى: (تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ)[٢] ، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء؛ فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام ، وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناب لله مع أولادهم البنات فقال تعالى: (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ

١– تفسير المنار : محمد رشيد رضا (٤٠٧/١٠) ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة –الأولى ١٩٩٠م.

٢– سورة النجم : آية رقم (٢٢).

ضِيزَىٰ) ، فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكارَ في الأولى والتهكم في الأخرى؛ وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدَّين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية ، والعربُ يعرفون هذا الضربَ من الكلام، وله نظائرُ في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سبقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسياً، وفي تألف أصواتها معنى مثله في النفس، وإن تعجب فعاجب هذه الكلمة الغريبة وائتلافه على ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مد ثقيل، والآخر مد خفيف، وقد جاءت عقب غُنتين في " إذاً " و " قسمة " وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيع موسيقي، وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً، أما خامس هذه المعاني، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها، إنما هي أربعة أحرف أيضا" [1].

ثالثا : عائشة بنت الشاطيء:

وقفت الأديبة القديرة بنت الشاطئ أمام كثير من الفرائد الواردة في قصار السور في كتابها (التفسير البياني للقران الكريم) لتستخرج منها أسرار التعبير ، وتستنبط ما اشتملت عليه من دلالات بيانية رائعة ، ومن ذلك حديثها عن قوله –تعالي– في سورة الضحي : (وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ)[2] ، تقول – رحمها الله– " وأما سجو الليل، فيراد به السكون أو الفتور، وهو ما يلائم الموقف بيانياً، وليس الإقبال ولا الإدبار، كما قال مفسرون، ولم تأت مادة "سجى" في القرآن كله في غير هذا الموضع، إلا أن مقابلتها للضحى، تجعلنا نطمئن إلى أن سجو الليل هو فترة هدوئه وسكونه، وعلى ما تعرف العربية في استعمالها لطرف ساج وبحر ساج، والسجواء هي الناقة التي إذا حلبت

١– إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي (١٥٨) ، طبعة :دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة الثامنة – ١٤٢٥هـ .

٢– سورة الضحي : آية رقم (٢)

فسكنت، والسكون هو المعنى الذي ذكره الراغب في مفرداته، وقال النيسابورى: هو بمنزلة الضحى من النهار" [١].

وكذلك ما جاء في تفسيرها لكلمة " السفع " في قوله –تعالي– في سورة العلق : (لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ)[٢] حيث قالت –رحمها الله– " والسفع لغة : اللطم والجذب بشدة: سفع الطائر فريسته لطمها بجناحيه، وسفع الفارس بناصية فرسه: جذبها بقوة وعنف ، وكثر استعمال السفع في لفح السموم تلطم وجه الملفوح، والسوافع لوافح السموم، ومنه سفع اللهب ، وقيل في المجاز: سفع بناصيته، بمعنى اجتذبها بعنف قصد الإذلال والعقاب، مع ملحظ من اقتدار السافع وقوته وغلبته ،والناصية قصاصة الشعر في مقدمة الرأس ، ويستغنى بالناصية مجازاً عن الوجه وكل ما هو مقدم، فيقال لأشراف القوم: نواصيهم، ولم يأت السفع في القرآن الكريم إلا في آية العلق" [٣].

كما أنها أشارت في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق) إلى بعض الفرائد ، وعلقت عليها بقولها :(وهذه الكلمة وحيدة في القرآن صيغة ومادة) ومن ذلك : كلمة (سَنَا) ، حيث قالت :" الكلمة من آية النور في قوله (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ)[٤] ، وهي وحيدة في القرآن صيغة ومادة [٥] .

رابعا : الطاهر بن عاشور :

كان للعلامة ابن عاشور وقفات مطولة مع بعض الفرائد القرآنية ، وهو وإن لم ينص على أنها فرائد إلا أنه ذكر بعض أسرار التعبير بها ، ومن ذلك حديثه عن كلمة

١– التفسير البياني للقرآن الكريم : د/ عائشة بنت الشاطيء (٣١/١)، دار المعارف – القاهرة– الطبعة : السابعة ١٩٦٨م . وينظر: المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني (٣٩٩) وغرائب القرآن ورغائب الفرقان : النيسابوري(٥١٤/٦).

٢– سورة العلق : آية رقم (١٥)

٣– التفسير البياني للقرآن الكريم : د/ عائشة بنت الشاطيء (٢–٣١)

٤– سورة النور : آية رقم (٤٣)

٥– الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق:د/عائشة بنت الشاطيء (٣١٦) ، طبعة : دار المعارف ،الطبعة: الثالثة ٢٠٠٤م.

(حسوما) في قول الله (**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**)[1] وهي من فرائد القرآن ، يقول –رحمه الله – :"و(حسوما) يجوز أن يكون جمع حاسم ، مثل قعود جمع قاعد، وشهود جمع شاهد ، غلب فيه الأيام على الليالي لأنها أكثر عددا ؛ إذ هي ثمانية أيام ، وهذا له معان: أحدها : أن يكون المعنى: يتابع بعضها بعضا ،أي لا فصل بينها كما يقال: صيام شهرين متتابعين ، وقيل : والحسوم مشتق من حسم الداء بالمكواة إذ يكوى ويتابع الكي أياما، فيكون إطلاقه استعارة، والمعنى الثاني: أن يكون من الحسم وهو القطع، أي حاسمة مستأصلة، ومنه سمي السيف حساما لأنه يقطع، أي حسمتهم فلم تبق منهم أحدا، وعلى هذين المعنيين فهو صفة ل سبع ليال وثمانية أيام أو حال منها ، والمعنى الثالث: أن يكون حسوم مصدرا كالشكور والدخول فينتصب على المفعول لأجله وعامله سخرها، أي سخرها عليهم لاستئصالهم وقطع دابرهم ، وكل هذه المعاني صالح لأن يذكر مع هذه الأيام، فإيثار هذا اللفظ من تمام بلاغة القرآن وإعجازه"[2] .

خامسا : الشيخ الشعراوي

من يطالع خواطر الشيخ حول تفسير القرآن الكريم يدرك مدى اهتمامه –رحمه الله– بأسرار التعبير القرآني، ولعل هذا يرجع إلى تمكنه في اللغة وبراعته في استخراج كنوزها ، ولذلك كان له وقفات طويلة مع بعض الفرائد القرآنية، ومن ذلك حديثه عن سر اختيار هذه الفريدة القرآنية ، وهي كلمة " ردما " دون كلمة " سدا " في قول الله –تعالى– (**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**)[3] ، حيث يقول –رحمه الله– : "ولم يقُلْ: سداً؛ لأن السدّ الأصمَّ يعيبه أنه إذا حصلت رَجَّة مثلاً في ناحية منه ترجّ الناحية الأخرى؛ لذلك أقام لهم ردماً أي: يبني حائطاً من الأمام وآخر من الخلف، ثم يجعل بينهما ردماً من التراب ليكون السد مَرِناً لا يتأثر إذا ما طرأت عليه هزة أرضية مثلاً، والردم أن تضع طبقات التراب فوق بعضها، حتى تردم حُفْرة مثلاً وتُسوّيها بالأرض"[4].

١– سورة الحاقة : آية رقم (٧) .

٢– التحرير والتنوير: ابن عاشور (١١٧/٢٩) ، طبعة : الدار التونسية للنشر – تونس– الأولى ١٩٨٤ هـ

٣– سورة الكهف : آية رقم (٩٥)

٤– تفسير الشعراوي : (٩٩٠/١٤) ، طبعة : مطابع أخبار اليوم–القاهرة – الأولي ١٩٩٧م =

سادسا : الشيخ محمد سيد طنطاوي

ذكر الشيخ في تفسيره بعض أسرار التعبير القرآني لبعض الفرائد القرآنية ، ومن ذلك حديثه عن سر التعبير بكلمة " ليبطئن " في قول الله (**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا**)[1] ، حيث يقول –رحمه الله–: " والتعبير بقوله ليبطئن تعبير في أسمى درجات البلاغة والروعة، لأنه يصور الحركة النفسية للمنافقين وضعاف الإيمان وهم يشدون أنفسهم شدا، ويقدمون رجلا ويؤخرون أخرى عند ما يدعوهم داعي الجهاد إلى الخروج من أجل إعلاء كلمة الله" [2].

=

.

١ – سورة النساء : آية رقم (٧٢)

٢– التفسير الوسيط :د/محمد سيد طنطاوي(٣/٢١٤)، طبعة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة – الطبعة الأولى١٩٩٧م .

المطلب الثالث
الأسرار البيانية في التعبير بالفرائد القرآنية

القرآن الكريم يتأنق في اختيار مفرداته، ويبدع في انتقاء ألفاظه، ويضعها في الموضع الذي تؤدي فيه معناها بدقة، بحيث لا يصلح فيه سواها؛ ولذلك لا ترادف في القرآن ، بل إن كل كلمة تحمل معنى جديدًا، ولا تجد في القرآن كلمة معيبة من حيث صورة اللفظ ومعناه، ولا تجد فيه لفظًا قلقًا مضطربًا أو نابيًا في موضعه .

ولعل هذا المعني هو ما أشار إليه العلامة المحقق ابن عطية[١] –رحمه الله – بقوله : "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام "[٢].

ولذا جاءت دعوة القرآن واضحة تماما إلى استخدام الألفاظ في مواضعها اللائقة ، مع التحذير من استخدام لفظ مكان آخر، فقال –تعالى– : (قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[٣] ، ولما كانت كلمة "راعِنا" لها معنى في العبرية مذمومة، نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول–ﷺ – بها فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٤] فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدى به المعنى[٥].

١– هو : المفسر الإمام عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية ، قال عنه السيوطي في طبقات المفسرين كان قدوة المفسرين وحدث عن أبيه الحافظ الحجة ،وعن أبي علي الغساني وكان فقيها عالما بالأحكام واسع المعرفة وله في التفسير :" المحرر الوجيز " مولده سنة ٤٨٠هـ وتوفي ٥٤١هـ . ينظر : طبقات المفسرين : السيوطي ٦١/١ مكتبة وهبة – القاهرة الأولي ١٣٩٦هـ.

٢– المحرر الوجيز : ابن عطية (٥٢/١) ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى١٤٢٢ هـ.

٣– سورة الحجرات : آية رقم (١٤) .

٤– سورة البقرة : آية رقم (١٠٤) .

٥– خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : د/ عبدالعظيم المطعني (٢٥٢/١) ، طبعة : مكتبة وهبة –القاهرة– الأولى١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م

وقد أشار الجاحظ[١] إلى دقة استخدام اللفظ القرآني بقوله : "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله –تبارك وتعالى– لم يذكر في القرآن الجوع، إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب، ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر، وذكر الغيث"[٢].

وبالنظر والتأمل في كثير من الفرائد القرآنية يمكن القول إن التعبير بهذه الفرائد مقصود ، وأنها جاءت للوفاء بجملة من المعاني والدلالات لا توجد في غيرها بحال ، وبعد استقراء أسرار التعبير بهذه الفرائد يسر الله –تعالي – الوقوف علي جملة من الأسرار البيانية في التعبير بالفرائد القرآنية ، ألخصها على النحو التالي :

أولا : اتساع الدلالة :

هذه الفرائد يمكن أن توصف بأنها مادة جامعة واسعة الدلالة ، فهي تشمل في طياتها كل ما يقاربها من ألفاظ أخرى ، بالإضافة إلى ما دل عليه اللفظ في أصل استعماله ، ولذا يستغني بالتعبير به عن غيره لاتساع دلالته ، ومن أمثلة ذلك التعبير بلفظ " ريع " في قوله –تعالي – **(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ)**[٣] ، فقد ورد في معنى هذا اللفظ أقوالا كثيرة ، منها : أن الريع هو الطريق المشرف المرتفع ، وقيل : الجبل ، وقيل : أوائل الطرق وبداياتها ، وقيل : الفج بين الجبلين ، وقيل : الطريق عامة سلك أو لم يسلك[٤] ، ولكثرة

١–عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره.. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها : " الحيوان " أربعة مجلدات، و " البيان والتبيين " و " سحر البيان " و " التاج " ويسمى أخلاق الملوك، و" البخلاء " و" المحاسن والأضداد" ، توفي سنة (٢٥٥)هـ . ينظر: معجم الأدباء : ياقوت الحموي(٢١٠٣/٥) ، طبعة : دار الغرب الإسلامي–بيروت– الأولى ١٤١٤هـ.

٢– البيان والتبيين : الجاحظ (٤١/١) ، طبعة : دار ومكتبة الهلال– بيروت– الأولي ١٤٢٣. هـ

٣– سورة الشعراء : آية رقم (١٢٨) .

٤–جامع البيان : الطبري(٦٠٦/١٧) ، طبعة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع =

دلالات هذا اللفظ استخدم دون غيره ، لأنه يدل على كل هذه المعاني ، ويصور بدقة ما كان عليه القوم ، وما وصلوا إليه من إبداع ، فقد كانوا يبنون بكل طريق مشرف ، ويبنون فوق الجبل ، ويبنون في أوائل الطرق وبداياتها ، ويبنون على كل مرتفع من الأرض، أو فج بين جبلين ، وقد ساعدهم على ذلك قوة أبدانهم ، وضخامة أجسادهم ، وفي التركيب كذلك دلالة على استمرارية حركة البناء فقد كانت على أشدها في كل ما يسمي ريعا ، وهذا يفاد من قوله: "كل" ، فهم يبنون بكل ريع، ولا توجد لفظة أخرى تفى بكل هذه المعاني وتصور حال القوم بدقة كهذه الفريدة الرائعة [1].

ومن ذلك –أيضا– التعبير بلفظ " تعولوا " في قول الله –تعالى – في سورة النساء (ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ)[2] ، فقد أورد علماء اللغة وأهل التفسير جملة من المعاني لهذه الفريدة القرآنية ، منها : الميل والجور وكثرة العيال والضلال والافتقار ومجاوزة الحد[3] وهذا اللفظ القرآني الفريد يضم في ثناياه كل هذه المعاني ويدل عليها ، وذلك لأن من عدّد ربما وقع منه الميل والجور، وربما افتقر وعال أي كثرت عياله ، وربما وقع في مجاوزة الحد[4] ، ولذا يعد هذا اللفظ بمثابة الأصل الجامع لكل هذه المعاني.

٢– إفادة معني لطيف دقيق :

وقد يكون في التعبير بهذه الفريدة لفت الأنظار إلى معني لطيف دقيق لا يوجد في غيرها، فالتعبير بها أبلغ من التعبير بغيرها ، ومن ذلك التعبير بكلمة "رمزا" في قول الله –تعالى– (قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ) [5]،

=

والإعلان– القاهرة –الأولى، ١٤٢٢ هـ .

١– الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/ عبدالله سرحان (٤٦) .

٢– سورة النساء : آية رقم (٣)

٣– زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي (٣٧٠/١) طبعة : دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

٤– الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية "سورة النساء نموذجا " : د/ رضا محمد عبدالنبي ص(١٩٧) ، بحث علمي منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٢٠٢٢/١٤٤٣.

٥– سورة آل عمران : آية رقم (٤١)

فهذه الفريدة تفيد معنى لطيفا ، وهو الحركة كما هو ظاهر من أصل معناها اللغوي ، ولذا فهي تشير إلى أن سيدنا زكريا –عليه السلام – كان محبوسا عن الكلام وممنوعا من النطق لا لعاهة أو مرض أو آفة ، بل كان هذا معجزة وآية على حمل زوجه ، وكان مع ذلك قادرا على تحريك جسده وأعضائه ، بل كان لسانه يتحرك بذكر ربه كما دل على ذلك قوله –تعالى- (**وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ**)، فكان مع عدم قدرته على الكلام مع الناس قادرا على ذكر الله وتسبيحه حركة وكلاما [١].

ومن بين الفرائد الدالة على معنى دقيق لفظة : "نبتهل " في قول الله – تعالى- : (**فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ**)[٢] فاللفظ يدل على الاجتهاد في الدعاء والاسترسال فيه مع التضرع لله والتذلل له ، وهذا المعني لا يفيده لفظ "نلتعن أو نتضرع" لأنه يلحظ في لفظة " نبتهل " معني لا يلحظ في هذين اللفظين ، لأن اللعن فيه معنى الطرد والإبعاد ، وليس فيه معنى الاجتهاد في الدعاء ، وكذا التضرع فيه معنى الدعاء بخضوع ومذلة ولا يفهم منه اللعن مطلقا. [٣]

٣- مناسبة السياق

وأقصد به مراعاة الجو العام للآيات وما سيقت له ، فتأتي الألفاظ القوية في مقام التهديد والوعيد ، بينما تأتي الألفاظ الرقيقة العذبة في مقام الترغيب والتهذيب ، ومن أمثلة ذلك إيثار التعبير بكلمة "حوبا" في قول الله –تعالى- (**وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا**)[٤] .

حيث جاء هذا اللفظ في سياق الحديث عن حرمة مال اليتيم ،والنهي عن أكله بأية صورة من صور الأكل ،وتوعد آكله بالعذاب الشديد بأسلوب فيه من التهديد والوعيد ما ينبيء بخطورة هذا الأمر وضخامته ، ولذا اختير في التنفير منه تناسب السياق، وهي كلمة " حوبا" وليس " ذنبا أو إثما "، ذلك

١-الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/ عبدالله سرحان (٢٣٦-٢٣٧).

٢- سورة آل عمران : آية رقم (٦١)

٣- كشف اللثام عن بعض أسرار الفرائد القرآنية في سورة آل عمران : د/ محمود حسن علي (٤١) بحث علمي منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ١٤٤٢/٢٠٢١.

٤- سورة النساء : آية رقم (٢) .

لأنه من معاني الحوب في اللغة : الزجر والتوبيخ والمبالغة في النهي عن مقارفة الفعل ، والتعبير به دلالة على إفادة الزجر ، قال الجوهري[١] : " وحوب : زجر للإبل" [٢] ، وقال أبوهلال العسكري[٣]: "الحوب يفيد أن الفعل مزجور عنه ، وذلك أن أصله في العربية : الزجر "[٤] ، ولما كان الأمر الغالب على السياق النهي عن أكل أموال اليتامي جاء التعبير بهذا اللفظ لإفادة أن أكل مال اليتيم مع كونه إثما عظيما فهو منهي عنه [٥].

كما أنه يلحظ أحيانا التعبير بفريدة معينة لكونها ملائمة للفرائد الأخرى الواردة في ذات السياق الوارد في موضوع واحد ، كالتناسب بين الفرائد الواردة في قصة هود مع قومه ، وهي (الأحقاف – ريع – إرم) فالأحقاف اسم للمكان الذي أقاموا فيه ، وكذلك " ريع "اسم لأمكنة عديدة مميزة كانوا يقومون بالبناء فيها وعمارتها ، وكلمة "إرم " علم على مدينتهم ذات الأبنية الشاهقة والأعمدة

١- هو العلامة اللغوي : إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر: لغويّ، من الأئمة، وكان يضرب المثل به في حفظ اللغة وحسن الكتابة، أشهر كتبه (الصحاح)، وله كتاب في (العروض) ومقدمته في (النحو) أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور، توفي سنة (٣٩٣) هـ. ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :يوسف بن تغري بردي (٢٠٧/٢)طبعة: وزارة الثقافة – مصر – الأولى ١٣٨٣هـ.

٢- الصحاح : الجوهري (١١٧/١)"حوب"،طبعة:دار العلم للملايين – بيروت– الرابعة ١٤٠٧ هـ

٣- هو الإمام اللغوي ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العَسْكَري، أبو هلال: عالم لغوي أديب ، من أساطين البلاغة في عصره ، نسبته الى (عسكر مُكرَم) من كور الأهواز ،من آثاره القيمة (التلخيص) في اللغة، و (جمهرة الأمثال) و(الحث على طلب العلم) و(كتاب الصناعيتن: النظم والنثر) و (شرح الحماسة) و (الأوائل) و (الفرق بين المعاني) ، توفي سنة (٣٩٥) هـ.ينظر :معجم الأدباء : ياقوت الحموي (٩١٨/٢) ، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : الفيروزآبادي ص(١١٦)،طبعة : دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع –دمشق–الأولى ١٤٢١هـ.

٤- الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري (٢٠٤) ، طبعة : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر –بدون .

٥- الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية "سورة النساء نموذجا " : د/ رضا محمد عبدالنبي(٣٨).

السامقة ، فتم التجانس بين الفرائد الثلاثة من ناحية كونها تتصل بالمباني من قريب أو بعيد" [١].

٤- الاختصار والايجاز

وقد يكون من أسرار التعبير ببعض الفرائد أنها أوجز مما تفسر به ، والإيجاز والاختصار من أشهر أساليب القرآن ، ومن أمثلة ذلك التعبير بكلمة " الأحقاف" في قول الله-تعالى- (**وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ**)[٢] يقول الأستاذ الدكتور / عبدالله سرحان في سر التعبير بهذه الفريدة القرآنية : "إن التعبير بها أوجز وأخصر مما فسرت به ، ذلك لأن الأحقاف هي الرمال المستطيلة المعوجة من أرض كذا، ولو قال إذ أنذر قومه بالرمال المستطيلة المعوجة من أرض كذا التعبير بالأحقاف لطال الكلام وسمج وبعد عن الفصاحة والجزالة ، وهما من أسرار إعجاز القرآن الكريم "[٣].

٥- مراعاة الفواصل :

ومن ذلك التعبير بكلمة " ضيزىَ "، وهي أغرب ما في القرآن من فرائد، قال الله -تعالى- في سورة النجم موبخاً أهل الشرك: (**أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ**)[٤]، وقد روعي في التعبير بها عدة أمور ، ذكر منها بعض أهل العلم " مراعاة الفواصل " .

يقول العلامة الدكتور/ عبدالعظيم المطعني -رحمه الله- " جاءت الكلمة ذات نغم صوتى ملتئم مع فواصل الآي الأخرى ، ولو وضع موضعها " جائرة " وهي قسيمتها في الدلالة لجارت على الموضع وفاتت المناسبة وحسن الجوار. فجيء بها - أي ضيزى - لذلك الالتئام والتناسق الصوتى الذي لا يخفى أثره"[٥] .

ومن ذلك -أيضا- التعبير بكلمة (منقعر) في قول الله-تعالى- (**تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ**)[٦] فهي تتناسب تماما مع فواصل سورة القمر

١- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبدالله سرحان(٤٩)

٢- سورة الأحقاف : آية رقم (٢١)

٣- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبدالله سرحان(٤٩) .

٤- سورة النجم : الآيتان رقم (٢١-٢٢)

٥- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : د/ عبدالعظيم المطعني (٢٤٨/١)

٦- سورة القمر : آية رقم (٢٠)

المبنية على حرف الراء ، ومما لاشك فيه أن المحافظة على رؤوس الآي ومراعاة الفواصل غرض بلاغي أصيل ، يعمل في النفوس عمل السحر، ويضفي علي العبارة فخامة وجزالة، ولو تصورنا مثلا كلمة منقلع مكان كلمة منقعر لما تحقق ما تشعر به النفوس من جزالة اللفظ وانسياب العبارة "[1].

٦- تصوير المعنى

وهذا من أدق خصائص التعبير بالفرائد القرآنية ، ففي العبير بها تصوير للمعنى المقصود بدقة متناهية ، ومن شواهد ذلك استخدام القرآن لكلمة (دمدم) في قول الله –تعالى– (**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا**)[2] فالمقصود هنا تكرار العذاب وتضعيفه ؛ بدليل أن الله ذكر في القرآن الكريم أنه عذب ثمود بأربعة أشياء مجمعة (الرجفة – الصيحة – الصاعقة – الطاغية)[3] ، فهؤلاء قد حصل لهم من صنوف العذاب ما لم يحصل لغيرهم من حيث تكرار العذاب وتعداده ، وفي تكرار حرفي " الدال والميم " ما يشير إلى تكرار العذاب كذلك ، فكان استخدام لفظ " دمدم " للدلالة على ذلك ، يقول الإمام القرطبي –رحمه الله– " حقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده"[4] .

وكذا التعبير بكلمة " ضير " في قوله–تعالى– (**قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ**)[5] والضير غير الضرر ، لأن السحرة أرادوا نفي الضر مع عدم المبالاة به والالتفات إليه إن وقع ، بخلاف الضرر فهو سوء الحال في النفس والبدن مع التأثر به والمبالاة بوقوعه ، فكان التعبير بالضير أوفي بالمعني من التعبير بالضرر ، ومما يشفع لذلك أنهم لأردفوا ذلك بقولهم : "إنا إلى ربنا منقلبون " فلا نبالى بما يصيبنا ولا نكترث به[6] .

٧- التفرد بوجه بلاغي

وقد يكون التعبير بهذه الفريدة أبلغ من التعبير بغيرها ، كأن يكون في التعبير بها وجه بلاغي مقصود من كناية أو استعارة أو مجاز ، ومن أبرز

١- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبدالله سرحان(٥١)

٢- سورة الشمس : آية رقم (١٤)

٣- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبدالله سرحان (٦٦)

٤- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي (٧٩/٢٠) ، طبعة : دار الكتب المصرية – القاهرة – –الثانية ١٣٨٤ هـ .

٥- سورة الشعراء : آية رقم (٥٠) .

٦- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية: د/ عبدالله سرحان(١٤٢)

الشواهد هنا وأظهرها التعبير بالاشتعال في قول الله–تعالى– **(وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا)**[١] ففي الآية استعارة من أدق ما ورد في كتاب الله في هذا الباب، وقد أفادت الاستعارة هنا معني في غاية الروعة ، يقول العلامة الزمخشري[٢] –رحمه الله– : " شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ ، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وأخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا، فمن ثم فصحت هذه الجملة وشُهد لها بالبلاغة"[٣]

وقد أفادت الاستعارة هنا أن الشيب قد دب في رأس سيدنا زكريا–عليه السلام– وانتشر حتى صار الشعر كله أشيب ، وهذا يعني أنه قد بلغ من العمر مبلغا عظيما، فلا يتصور منه الإنجاب ، وهذا أظهر في الإعجاز وأبلغ في الدلالة على طلاقة قدرة الحق –سبحانه وتعالى– ، وكل هذه المعاني الثرية تولدت من كلمة " اشتعل" ويظهر جليا أنه لو استعملت مفردة أخرى لما أفادت ما تقرر من معاني وأسرار.

٨– التناغم الصوتي

وأقصد بذلك الانسجام التام بين اللفظ من حيث جرسه وحرفه وبين المعنى المقصود الذي سيق له اللفظ ، ومن ذلك التعبير بهذه الفريدة القرآنية الرائعة في قول الله –تعالى– **(وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ)**[٤]، فكلمة" تنوء " هنا تشعر بثقل حروفها ، وهذا الثقل يحكي تماما ضخامة هذه الثروة وكثرة الأموال التى كان يكتنزها قارون ،

١– سورة مريم : آية رقم (٤).

–٢هو : العلامة اللغوي المفسر أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشر قرية من قرى خوارزم ، يلقب بجار الله ؛ لأنه سكن بمكة فترة من الزمن، وهو لغوى، نحوى، مفسر، من أقطاب المعتزلة ، له التصانيف البديعة، منها: «الكشاف» في التفسير، «الفائق» في غريب الحديث، «أساس البلاغة»، «المفصّل» في النحو، توفى –رحمه الله– سنة ٥٣٨هـ . ينظر : طبقات المفسرين : السيوطى (٤٨) ، طبعة : مكتبة وهبة – القاهرة الأولي ١٣٩٦هـ . وطبقات المفسرين : الداودى ٣١٤/٢، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٠٣هـ .

٣–الكشاف : الزمخشري(٤/٣)، طبعة : دار الكتاب العربي – بيروت– الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٤–سورة القصص : آية رقم (٧٦) .

ولا يمكن لأي لفظة أخرى أن تؤدي هذا المعنى بجرس حروفها كما تؤديه هذه الفريدة [1].

ومن ذلك إيثار التعبير بكلة الطود في قول الله –تعالى– ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [2] أي الجبل العظيم ، وهذه الفريدة تعكس بنغم صوتها وجرس حروفها عظم وضخامة هذا الجبل لكل من يتأمل الفرق بين الجبل والطود.[3]

١- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/ عبدالله سرحان (١٤٨) .

٢- سورة الشعراء : آية رقم (٦٣) .

٣- الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/ عبدالله سرحان (١٥٧).

المبحث الأول

التعريف بسورة الأنفال

١- أسماء السورة : لهذه السورة الكريمة ثلاثة أسماء أوردها المفسرون، فقالوا : سميت سورة الأنفال ، وسورة بدر ، وسورة الجهاد[١] ، وإنما سميت سورة الأنفال بهذه التسمية لحديثها عن الأنفال ، أى الغنائم التي ظفر بها المسلمون في غزوة بدر ، وقد أطلق عليها بعض الصحابة سورة بدر؛ لأنها نزلت في هذه الغزوة المباركة وذكرت كثيرا من أحداثها، وسميت كذلك سورة الجهاد ؛لأنها تناولت بعض أحكام الجهاد في كثير من آياتها .

٢-ترتيب السورة الكريمة وعدد آياتها :

هي السورة الثامنة في ترتيب المصحف، وقد اختلف علماء العد في عدد آيات السورة الكريمة ، فذكر بعضهم أن عدد آياتها (خمس وسبعون آية) وهذا في العد الكوفي، وقيل (وست وسبعون آية) وهذا في العد الحجازي، وقيل (سبع وسبعون آية) في العد الشامي.

قال العلامة أبوعمر الداني[٢] -رحمه الله- في بيان عدد آياتها وسبب اختلاف العادين في ذلك : " وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي وست في المدنيين والمكي والبصري وسبع في الشامي ، والاختلاف في ثلاث آيات، قوله : (ثم يغلبون) عدها البصري والشامي ولم يعدها الباقون، وقوله: (**لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً**) لم يعدها الكوفي وعدها الباقون، وقوله: (**بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ**) لم يعدها البصري وعدها الباقون" [٣]

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (٢١٤/٨) ، والتحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور (٢٤٥/٩) .

٢- هو: العلامة المقرىء عثمان بن سعيد بن عثمان، أَبُو عمرو الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية بالأندلس، دخل المشرق، فحج ثم زار مصر، وعاد فتوفي في بلده. له أكثر من مائة مصنف، منها " التيسير " في القراءات السبع، و" المقنع " في رسم المصاحف ونقطها، و"الاهتداء في الوقف والابتداء " وغير ذلك، توفي سنة (٤٤٤) هـ. ينظر : النجوم الزاهرة : ابن تغربردي (٥٤/٥) ، غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري (٥٠٣/٣) .

٣- البيان في عد آي القرآن : أبوعمرو الداني (١٥٨) ، طبعة : مركز المخطوطات والتراث – الكويت-الأولى١٤١٤هـ.

٣- زمان نزولها :ذهب جمهور أهل العلم إلى أن سورة الأنفال مدنية كلها ، نزلت في غزوة بدر ، يقول العلامة ابن عطية في المحرر الوجيز: " هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس" [١] .

وقيل : كلها مدنية باستثناء بعض آياتها ، قال صاحب المنار: "وقيل إنها مدنية إلا آية قوله- تعالى-: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**)[٢] فقد ورد أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب، فعلى هذا وضعت في سورة الأنفال وقرئت مع آياتها التي نزلت في التحريض على القتال في غزوة بدر لمناسبتها للمقام ، وروى عن مقاتل[٣] استثناء قوله- تعالى- (**وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ**[٤] **وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ**)[٤] ؛ لأن موضوعها ائتمار قريش بالنبي -ﷺ- قبيلَ الهجرة، بل في الليلة التي خرج فيها رسول الله -ﷺ- مع صاحبه أبى بكر بقصد الهجرة وباتا في الغار، وهذا استنباط من المعنى، وهو استنباط يرده ما صح عن ابن عباس من أن الآية نفسها نزلت في المدينة ، وزاد بعضهم استثناء خمس آيات أخرى بعد هذه الآية، وهي قوله- تعالى-: (**وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ**)[٥] إلى قوله: (بما كنتم تكفرون)[٦] ؛ لأن موضوعها حال كفار قريش في مكة، وهذا لا يقتضى نزولها في مكة، بل ذكر الله بها رسوله بعد الهجرة، وكل ما نزل بعد الهجرة فهو مدني".[٧]

والراجح أن سورة الأنفال جميعها مدنية، وشواهد ذلك كثيرة ، منها الحديث المستفيض عن غزوة بدر، وتفصيل السورة لأحكام الجهاد ، ومعلوم

١- المحرر الوجيز : ابن عطية (٤٩٦/٢).

٢- سورة الأنفال : آية رقم (٦٤).

٣-هو: الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، البلخي المفسر، أصله من بلخ ،وانتقل إلى البصرة ،ودخل بغداد وحدث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وأخذ الحديث عن مجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح ، وروى عنه حرمى بن عمارة، وعلي بن الجعد ، وكان من العلماء الأجلاء، قال عنه الإمام الشافعي: الناس عيال في التفسير على مقاتل، توفي سنة (١٥٠) بالبصرة .ينظر: طبقات المفسرين :الداوودي (٣٣٠/٢) ، طبعة :دار الكتب العلمية -بيروت – بدون .

٤ – سورة الأنفال : آية رقم (٣٠)

٥ – سورة الأنفال : آية رقم (٣١)

٦- سورة الأنفال : الآيات (٣١-٣٥) .

٧- تفسير المنار : محمد رشيد رضا (٤٨٤/٩).

أن كل هذه القضايا من ضوابط القرآن المدني والتي ترجح كون السورة مدنية ، أما ما ورد في بعض آياتها من أوصاف لأحوال المشركين في مكة قبل الهجرة لا يعنى كون هذه الآيات مكية ؛ لأن هذه الآيات الكريمة إنما تحمل على التذكير بأحوال هؤلاء وما كانوا عليه من عناد ومكابرة ؛ ولذا استحقوا ما حل بهم من هزائم ، غير ما ينتظرهم من عذاب أليم في الآخرة .

٤- وجه مناسبتها لما قبها : ذكر العلماء في المناسبة بين سورتي الأنفال وسابقتها "سورة الأعراف" وجوها عديدة ، منها : أن الله -تعالى- أمر على سبيل الإجمال في سورة الأعراف بقوله:" قوله -تعالى-:(**خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ**)[1] ثم ورد تفصيل بعض أفراد المأمور به في سورة الأنفَال .

وكذلك جاء في سورة الأعراف الحديث المستفيض عن أنبياء الله ورسله الكرام ، وذكر ما جرى بينهم وبين أقوامهم ، ثم جاء عقيب ذلك في سورة الأنفال الحديث المستفيض عن رسول الله -ﷺ- وما كان بينه وبين قومه .

وقد فصل الله في تلك قصص آل فرعون وأضرابهم وما حل بهم وأجمل في هذه ذلك فقال-تعالى- في سورة الأنفال : (**كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ**) ، وأشار هناك إلى سوء زعم الكفرة في القرآن بقوله- تعالى-: (**وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَا**) وصرح بذلك هنا إذ يقول (**وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ**) إلى غير ذلك من أوجه المناسبات[2].

٥- أبرز موضوعات السورة الكريمة : تناولت السورة الكريمة بعض الموضوعات والقضايا الخاصة ، ومن أبرزها :

أ- بيان أحكام الأنفال، وكيفية قسمتها وبيان مصارفها ، والأمر بتقوى الله -عز وجل- في ذلك وغيره، والأمر بطاعة الله ورسوله في أمر الغنائم وغيرها، وضرورة إصلاح ذات البين ، وهذا من مقومات الإيمان.

ب- ذكر بعض صفات المؤمنين الصادقين، وتبشيرهم بالدرجات الرفيعة والمنازل العالية.

١- سورة الأعراف : آية رقم (١٩٩) .

٢ - روح المعاني : الألوسي (١٤٧/٥)، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت- الأولى١٤١٥هـ.

ج- الحديث المستفيض عن غزوة بدر ، فذكرت السورة أول ما ذكرت الخروج إلى غزوة بدر، وكراهية بعض المؤمنين لذلك، وما لقيه المؤمنون في هذه الغزوة من نصر وتأييد من الله.

د – الأمر بالوحدة واجتماع الكلمة، والنهي عن التنازع .

هـ-توجيه نداءات عديدة للمؤمنين؛ وإرشادهم في كل واحد منها إلى ما فيه خيرهم وفلاحهم .

و-تذكير النبي -ﷺ- بنعمة الله عليه؛ إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة، وبيان ما كان عليه المشركون من عناد وصلف واستكبار .

ي- بيان أحكام الأسري ، وذكر أحكام العهد بين المسلمين والكفار، وما يترتب على نقضهم العهد.

٦- محور السورة الكريمة : عندما نتأمل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة من قضايا خاصة، يمكن القول أن هذه الآيات في مجملها تنتظم جميعها تحت محور واحد ، وهو الحديث عن " أحكام الجهاد "[1]؛ فقد تناولت أحداث غزوة بدر، ،وذكرت بشارات النصر فيها ، وكشفت عن قدرة الله وتدبيره في وقائع هذه الغزوة الحاسمة، وبينت كثيرا من الإرشادات والتشريعات الحربية التي يجب على المؤمنين اتباعها حتى ينالوا النجاح والفلاح .

٧- الفرائد القرآنية في السورة الكريمة : تفردت هذه السورة الكريمة بذكر أربع فرائد لم تذكر في غيرها من سور القرآن ، وهي بترتيب مجيئها في السورة الكريمة :

١- لفظ " الشوكة " ، وذلك في قوله -تعالى- : (**وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ**)

٢- لفظ "زحفا" ، وذلك في قوله-تعالى- : **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ)**

٣- لفظ " متحيزا" ، وذلك في قوله -تعالى- **(وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)**

١-موسوعة التفسير الموضوعي : مجموعة من العلماء المعاصرين (١٣١/٣) ، طبعة : جامعة الشارقة – الإمارات العربية المتحدة – الأولى ١٤٣١هـ.

٤- لفظ " فشرد بهم"، وذلك في قوله -تعالى- (**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**)

وهذا ما سأتناوله في المباحث التالية مبينا الدلالات اللغوية لهذه الفرائد، وأقوال المفسرين في بيان معانيها، مع بيان أسرار التعبير بهذه الفرائد القرآنية .

المبحث الثاني

الفرائد القرآنية في سورة الأنفال

الفريدة الأولى : لفظ (الشوكة) :

يقـــول الله –تعـــالى– : (وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) [1] .

سياق الآية الكريمة :

جاءت هذه الفريدة في سياق الحديث عن غزوة بدر ، وقد بيّن الحق – سبحانه– في هذه الآية ما وعد الله به المؤمنين من الحصول على إحدى الطائفتين " العير أو النفير" ، وقد كان المؤمنون يرغبون في الحصول على العير، ولكن الله أراد لهم النفير ، وذلك إحقاقا للحق وإبطالا للباطل ، بإعلاء كلمة الله ونصرة دينه وقطعا لدابر هؤلاء الكافرين .

الدلالة اللغوية لكلمة " الشوكة " :

ورد في معاجم اللغة أن الشوكة : واحدة الشوك ، وهو النبات الذي له حد ، وشجر (شائك) ذو شوك، وشجرة (شاكة) كثيرة الشوك، و(شاكته) الشوكة أي : دخلت في جسده، و(شاك) الرجل غيره أدخل في جسده شوكة ، والشوك: ما يدق ويصلب رأسه من النبات ، ثم استعيرت الشوكة "للشدة والقوة والحدة" ، ومنه قولهم : رجل شائك السلاح ، أي : شديد قوي ، ويعبر بالشوك والشكة كذلك عن "السلاح والشدة" ، وسميت إبرة العقرب شوكا ، تشبيها به ، وشجرة شاكة وشائكة، وشاكني الشوك: أصابني، وشوك الفرخ: نبت عليه مثل الشوك، وشوك البعير: طال أنيابه كالشوك ، والعرب تطلق على كل سلاح حديد (شوكة)، فتقول للرجل الحديدِ السلاح: «فلان شائك السلاح، وشاكي السلاح» على القلب؛ لأن قولهم: «فلان شاكي السلاح». أصله: شائك السلاح ، قلبوه وأخَّروا الهمزة وأبدلوها ياءً، والهمزة مبدلة من الواو، وهو معنى معروف في كلامهم[2] ، يقول العلامة ابن منظور –رحمه الله – في لسان العرب : " شوك : الشوك من النبات معروف ، واحدته شوكة ، وأرض شاكة : كثيرة الشوك ،

١– سورة الأنفال : آية رقم (٧)

٢– مختار الصحاح : الرازي (١٧٠) "ش و ك" ،وتهذيب اللغة : الأزهري (١٠/١٦٧) "شوك"، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت– الأولى٢٠٠١م.

وشجرة شاكة وشوكة وشائكة ومشيكة : فيها شوك ، وشجر شائك : ذو شوك ، وقد أشوكت النخلة أي : كثر شوكها، والشوكة : السلاح ، وقيل : حدة السلاح، ويقال : رجل شاكي السلاح وشاكُ السلاح، برفع الكاف، مثل جرف هارٍ وهارٌ، ومن قال: شاك السلاح، بحذف الياء فهو كما يقال: رجل مال ونالٌ: من المال والنوال، وإنما هو مائل، ونائل"[١]

وجاء في المصباح المنير:" (ش وك) :شوك الشجرة معروف ، والواحدة شوكة ، فإذا كثر شوكها قيل: شاكت شوكا من باب خاف، وأشاكت أيضا بالألف، وشاكني الشوك من باب "قال" ، بمعني : أصاب جلدي ، وشوكت زيدا به وأشكته إشاكة أصبته به ، والشوكة شدة البأس والقوة في السلاح ، وشاك الرجل يشاك شوكا من باب خاف، ظهرت شوكته وحدته ،وهو شائك السلاح وشاكي السلاح على القلب، وشوكة المقاتل شدة بأسه". [٢]

وعليه فإن كلمة " الشوكة" في اللغة : واحدة الشوك، وهو معروف، ثم استعيرت الكلمة لمعاني " الشدة والقوة والسلاح والحرب " ، حتى صار التعبير بها مقصود به هذه المعاني .

أقوال المفسرين في معني كلمة " الشوكة " :

ذكر المفسرون في معنى كلمة الشوكة ما أورده علماء اللغة ، فذكروا فيها ثلاثة أقوال : (الشدة والقوة – والحرب – والسلاح) ، قال العلامة البغوي [٣]–رحمه الله– : (وَتَوَدُّونَ) أي: تريدون (**أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**) يعني العير التي ليس فيها قتال، والشوكة : الشدة والقوة ، ويقال : السلاح"[٤]، وقال الثعلبي[٥] :(وَتَوَدُّونَ) تريدون (**أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ**

---

١ – لسان العرب : ابن منظور (٤٥٣/١٠) " شوك ".

٢– المصباح المنير : الفيومي (٣٢٧/١) "ش و ك" ، طبعة : المكتبة العلمية – بيروت– بدون .

٣– هو العلامة المفسر الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفَرَّاء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنّة، البغوي ، فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بَغَا) من قرى خراسان، بين هراة ومرو. من آثاره المباركة : (التهذيب) في فقه الشافعية، و (شرح السنة) في الحديث، و (لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و (مصابيح السنة) توفي سنة (٥١٠) هـ. ينظر : طبقات المفسرين : السيوطي، ص(١١٥) .

٤– معالم التنزيل: البغوي (٣٣١/٣) ،طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع – السعودية – الرابعة ١٤١٧

٥ – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق : من أهل نيسابور ، من أكابر =

﴿لَكُمْ﴾ يعني: العير التي ليس فيها قتال ، والشوكة الشدة والقوة ، وأصلها من الشوك " [1]

وفي النكت والعيون : ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي : غير ذات الحرب ، وهي العير لأن نفوسهم في لقائها أسكن ، وهم إلى ما فيها من الأموال أحوج ، وفي الشوكة التي كُني بها عن الحرب وجهان: أحدهما: أنها الشدة فكُني بها عن الحرب لما فيها من الشدة ، والثاني: أنها السلاح ، وكُني بها عن الحرب لما فيها من السلاح" . [2] .

أسرار التعبير بهذه الفريدة:

وإنما جاء التعبير بهذه الفريدة القرآنية دون كلمة أخرى من الكلمات قريبة المعنى كالشدة أو الحرب أو السلاح لإفادة بعض الأسرار البيانية ، أجملها على النحو التالي : ١- في هذه الفريدة تصوير بديع لما كان في أغوار النفوس وأعماق القلوب من كره لهذا اللقاء ، وإفصاح عن السبب الذي تقع به مخافة هذا اللقاء وكرهه ، إنه اللقاء الذي تشاك فيه النفوس ، إما بإزهاق في الأرواح أو إصابات في الأجساد ، ولا تكاد النفس تسلم فيه من أذى أو ضرر ، ولقد كان المسلمون في غزوة بدر غير مستعدين للقاء المشركين ، لأنهم خرجوا طلبا للعير؛ ولذلك لما لم تكن النية القتال لم يعلن النبي-ﷺ- النفير العام ، بل استنهض للخروج من كان ظهره حاضرا ، ومن هنا كانت رغبة المسلمين في العير وليس النفير ، يقول الجصاص[3]: "يعني

=

المفسرين ، وسمع منه الواحدىّ التفسير، وأخذ عنه ، وكان إماما في اللغة، بارعا في العربية ، له اشتغال واسع بالتأريخ ، من كتبه : (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و (الكشف والبيان في تفسير القرآن) توفي سنة (٤٢٧) هـ. ينظر: طبقات المفسرين : السيوطي ، ص(٢٨) ، وإنباه الرواة عن أنباه النحاة : القفطي (١٥٤/١) ، طبعة : دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت- الأولى، ١٤٠٦ هـ .

١- الكشف والبيان: الثعلبي(٣٣١/٤)،طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت – الطبعة: الأولى ١٤٢٢.

٢- النكت والعيون : الماوردي (٢٩٧/٢) ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون .

٣- هو الإمام أحمد بن على أبو بكر الرازى الحنفى المعروف الجصاص سكن بغداد وأخذ عنه فقهاؤها، وإليه انتهت رئاسة المذهب الحنفى فى وقته قال الخطيب كان الجصاص إمام أصحاب أبى حنيفة فى وقته وكان مشهوراً بالزهد وله "أحكام القرآن" فى التفسير وشرح مختصر الطحاوى ولد سنة ٣٠٥ وتوفى ٣٧٠هـ. ينظر : طبقات المفسرين: =

أن المؤمنين كانوا يودون الظفر بالقافلة لما فيها من الأموال وقلة المقاتلة ، وذلك لأنهم خرجوا مستخفين ، غير مستعدين للحرب ، لأنهم لم يظنوا أن قريشا تخرج لقتالهم " [١]، وحصول القتال هنا معناه أن يصاب السلمون بأذى ما ، فهم لن يخرجوا دون خسائر أو جراحات ،هكذا ظن القوم واعتقدوا ، فجاء التعبير بلفظ الشوكة للدلالة على هذا المعنى وتصوير ما يدور في خواطرهم وما تتحدث به نفوسهم ، يقول الشيخ عبدالكريم الخطيب في تفسيره : " وذات الشوكة: أي صاحبة الشدّة والبلاء، وهى «النفير» ووصف النفير بأنه ذو شوكة، إشارة لما يلقاه المسلمون فى لقاء النفير من أذى وضر، إنه القتال والقتل" [٢]وقد ذكر العلامة الرماني[٣] في كتابه " النكت في إعجاز القرآن" أن التعبير بلفظ الشوكة أبلغ من التعبير بلفظ آخر كلفظ السلاح –مثلا– ، لأن لفظ الشوكة فيه استعارة ، فهو أبلغ من التعبير بالسلاح ؛ لأن السلاح منه ما لا حد له ومنه ما له حد ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة ،يقول–رحمه الله– : "اللفظ ها هنا بالشوكة مستعار ، وهو أبلغ ، وحقيقته السلاح ، فذكر الحد الذي به تقع المخافة ، واعتمد على الإيماء إلى النكتة ، وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد ، فشوكة السلاح هي التي تبقى".[٤]

هذا وقد أبدع الرماني في بيان المعنى البلاغي لهذه الاستعارة ؛ لأن ذكر الشوكة ينبئ عن أنهم خافوا من اللقاء طمعوا في الغنيمة وخافوا من

=

الداودى ٨٤/١.

١– أحكام القرآن : الجصاص (٦١/٣) ، طبعة: دار الكتب العلمية –بيروت – الأولى ١٤١٥هـ

٢– التفسير القرآني للقرآن : الشيخ عبدالكريم الخطيب (٥٧٠/٥) ، طبعة : دار الفكر العربي – القاهرة– بدون .

٣ – هو : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: المعتزلي المفسر، من كبار النحاة، أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد، له نحو مائة مصنف، منها "الأكوان " و " المعلوم والمجهول" و"الأسماء والصفات" و"صنعة الاستدلال " في الاعتزال، و" شرح أصول ابن السراج و"شرح سيبويه" و"النكت في إعجاز القرآن ". ينظر :سير أعلام النبلاء : الذهبي

(٥٣٤/١٦) طبعة : مؤسسة الرسالة–بيروت– الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٤– النكت في إعجاز القرآن : الرماني (٩٠) ، طبعة : دار المعارف –مصر – الثالثة، ١٩٧٦م

المواجهة ، والنكتة التي أشار إليها العلامة الرماني بقوله : "واعتمد على الإيمان إلى النكتة" إنما تكمن في هذا التردد والخوف من الموت والضعف النفسي الذي اعتراهم عندما علموا بالحرب". [١]

يقول الدكتور / عبد القادر الحمداني : " وإنما عمد التعبير القرآني في تصوير ما أراده المؤمنون إلى أسلوب الاستعارة ، وذكر ما يناسب السياق الذي وردت فيه الآية ، وهو الحديث عن ملحمة نصر حاسم وفرقان بين الحق والباطل ، فلم يقل : وتودون العير أو وتودون المال، وإنما عمد إلى ذكر ما يعبر عن الخوف القابع بداخلهم ففي ذكر الشوكة إيحاء بالألم والإيذاء ، بل هو إيحاء بكل ما في لقاء العدو من مشاعر وأحاسيس لا سيما وأن اللفظة مستعارة، وهي واحدة الشوك ، وقد عرفت عند العرب بالتعبير عن هذه المعاني على سبيل الاستعارة ، فيقال فلان ذو شوكة ، أي ذو بأس ، ومنها قولهم : شائك السلاح ، ولذلك فقد ذكر التعبير القرآني ما يناسب الخوف القابع في نفوسهم ، ولا شك أن التعبير بالحقيقة ما كان ليثير في النفس ما تثيره الاستعارة بالشوكة من مشاعر الإيذاء والألم". [٢]

يقول العلامة ابن عاشور: " وفى هذا اللفظ تعريض بما اعتراهم من الوجل من الطائفة ذات الشوكة وقناعتهم بغنم العروض التي كانت مع العير، فعرض لهم بأنهم لم يتفهموا مراد الرسول -ﷺ-، حين استشارهم، وأخبرهم بأن العير سلكت طريق الساحل ، فكان ذلك كافيا في أن يعلموا أن الطائفة الموعود بها تمحضت أنها طائفة النفير، وكان الشأن أن يظنوا بوعد الله أكمل الأحوال". [٣]

وبهذا ندرك أن القرآن يقرر أن الجهاد فريضة عظيمة ثقيلة على النفوس، لا تتقبلها النفوس في يسر، ولا تنقاد إليها في سهولة، وقد جبلت النفوس على حب البقاء ولذلك تحدث بوضوح ، مقررا موقف النفس الإنسانية من تلك الفريضة الشاقة، التى يعرض المرء فيها حياته لخطر الموت، وقد

١- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: د/ فتحي أحمد عامر (١٠٠) ، طبعة : منشأة المعارف – الاسكندرية – الأولى ١٩٨٣م.

٢ – البلاغة القرآنية فى نكت الرماني : د/ عبدالقادر الحمداني (٢١٢) ، طبعة: دار غيداء – عمان – الأولي ٢٠١٤م.

٣- التحرير والتنوير:ابن عاشور(٢٧٧/٩)،طبعة:الدار التونسية للنشر– تونس– الأولي١٩٨٤

طبعت النفوس على بغضه وكراهيته، فقال الله –تعالى– (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [١]، ولذا فإن نفوس المسلمين قد رغبت في أن تظفر بتجارة قريش والتى يستطيعون الاستيلاء عليها من غير أن يريقوا دماءهم في قتال مرير مع المشركين [٢].

يقول صاحب المنار : "وقوله : (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) ، أي: وتحبون وتتمنون أن الطائفة غير ذات الشوكة وهي العير تكون لكم ؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ، وإنما عبر عنها بهذا التعبير؛ للتعريض بكراهتهم للقتال، وطمعهم في المال".[٣]

٢– وفى التعبير بهذه الفريدة البديعة– أيضا– إلماح إلى طبيعة النصر الذي يريده الله لهذه الفئة المؤمنة ، إحقاقا للحق وإبطالا للباطل ، فهو نصر لتلك الطائفة المستضعفة المجردة من أسباب القوة والظفر ، على تلك الطائفة ذات الشوكة التى تمتلك من أسباب القوة ما تمتلك ، فتدرك الطائفة المؤمنة أن النصر من عند الله ، ويوم أن يتحقق النصر والحالة هذه كان نصرا مدويا يسير به الركبان ، ويتحدث عنه القاصي والداني .

يقول الدكتور / عبدالقادر الحمداني : " ولهذه الاستعارة إيحاء آخر ، وهو التعبير عن البون الشاسع بين ما أراده الله –تعالى– للفئة المؤمنة ، وبين ما أراده المؤمنون لأنفسهم ، على الرغم من كراهتهم لذلك ، لقد أراد الله أن تكون ملحمة لا غنيمة وأن يحق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين ، فأين ما أرادته الفئة المؤمنة لنفسها مما أراده الله لهم ، فلو كانت غارة وغنيمة باردة لذهبت وما كان لها ذكر ، ولكنها كانت –كما أرادها الله– نصرا حاسما للمؤمنين بعددهم القليل وعدتهم الضعيفة ، واندحار المشركين أولي العدة والعدد ، وكان درسا بليغا تتوارثه الأجيال ، وتستمد منه العزم والقوة والأمل ، كلما تحدث المواجهة بين جبهة الايمان وجبهة الكفر".[٤]

١– سورة البقرة : آية رقم (٢١٦)

٢ – من بلاغة القرآن : د/ أحمد بدوي (٢٣٦) طبعة: نهضه مصر – القاهرة– الأولي ٢٠٠٥.

٣– تفسير المنار : الشيخ / محمد رشيد رضا (٩/٥٠٠) طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة– الأولي ١٩٩٠

٤ – البلاغة القرآنية فى نكت الرماني : د/ عبدالقادر الحمداني (٢١٣) .

ويقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله – : " إن كنتم تميلون وتحبون أن تكون لكم الطائفة غير ذات الشوكة التي تحرس العير ،وذات الشوكة أي الفئة القوية ، فإن كتم تتمنون وتريدون عدم ملاقاة جيش الكفار في معركة، فالمولى– عَزَّ وَجَلَّ– يقول لكم **(وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ)** ، أي أن الله تعالى يريد أنَ ينصر الإسلام بقوة ضئيلة ضعيفة بغير عتاد على جيش قوى ، فيعرفون أن الله مؤيدهم، وبذلك يحق الله الحق بكلماته أي بوعده، وهناك الكلمة من الله التي قال فيها: **(وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟)** [1] ، لقد كان وعد الله أن ينصر المؤمنين ، والأمل البشرى كان يود الانتصار على الطائفة غير ذات الشوكة أي الطائفة غير المسلحة وهي العير، ولكن مثل هذا النصر لا يكون له دَوِيُّ النصر على الطائفة المسلحة، فقد كان من السهل أن يقال: إن محمداً ومن معه تعرضوا لجماعة من التجار لا أسلحة معهم ولا جيش، ولكن الله يريد أن يجعل من هذه المعركة فرقانا وأن يحق الحق ، إنكم أيها المؤمنون لم تخرجوا إلا لقصد العير ،أي : لم يكن استعدادكم كافيا للقتال، أما الكفار فقد جاءوا بالنفير، أي بكل قوتهم فقد ألقت مكة في هذه المعركة بأفلاذ أكبادها، وعندما يأتي النصر من الله للمؤمن في مثل هذه الموقعة فهو نصر حقيقي، ويكون آية غاية في العجب من آيات الله، وتصير عبرة لغيرهم" [2].

٣– وفي التعبير بهذه الفريدة القرآنية –أيضا– إشارة إلى طبيعة الطريق الذي يرتضيه الله لعباده الصالحين المجاهدين ، إنه طريق محفوف بالمخاطر والأهوال والأشواك ، وليس طريقا مفروشا بالورود والرياحين ، والتأسيس لهذا الأمر وإيضاح هذه القضية في هذه المرحلة من تاريخ الأمة المسلمة أمر لازم ، ذلك لأن المسلمين في هذه الفترة كانوا يسطرون أول صفحة من صفحات الجهاد ، فكان ولا بد من التأكيد على هذه الحقائق المتعلقة بهذا الطريق الحق ، ومنها أنه طريق شائك صعب وليس معبدا ممهدا ، فوجب توطين النفوس على هذا الأمر منذ البداية ، وفى أول لقاء بينكم وبين العدو ، حتى لا يتحمل رسالة الحق في هذه الأرض إلا من له صبر وجلد على هذه البلايا وتلك المحن والأشواك.

١– سورة الأعراف : آية رقم (١٣٧) .

٢– تفسير الشعراوي :(٨/٤٥٨٥)

الفريدة الثانية: لفظ (زحفا)

يقـول الله –تعـالى– (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ).[١]

سياق الآية الكريمة :

تأتي الآية الكريمة في سياق الحديث عن غزوة بدر وما صاحبها من مواقف وأحداث ، وفيها نهي صريح عن الفرار من الزحف عند مواجهة الأعداء مهما بلغت قوتهم ، والآية بمفهومها أمر بالثبات عند لقاء الأعداء ، قال العلامة أبو السعود : " إذا لقِيتموهم للقتال وهم كثيرٌ جمٌّ وأنتم قليلٌ فلا تولوهم أدبارَكم فضلاً عن الفرار بل قابلوهم وقاتِلوهم مع قلتكم فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم" .[٢]

الدلالة اللغوية لكلمة " زحفا ":

الزحف هو : المشي رويدا رويدا ، وأصل الزحف للصبي، وهو أن يزحف على مقعدته قبل أن يقوم ، وإذا فعل ذلك على بطنه قيل قد حبا، وشبه بزحف الصبي مشي الفئتين تلتقيان للقتال فتمشي كل فئة مشيا رويدا إلى الفئة الأخرى قبل التداني للضراب، ورد في تهذيب اللغة: "قوله –تعالى – (إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا) المعنى إذا لقيتموهم زاحفين: وهو أن يزحفوا إليهم قليلا قليلا، وزحف القوم إلى القوم: دلفوا إليهم، فالزحف: المشي قليلا قليلا، ومنه الزحاف في الشعر ، وهو ما سقط منه حرف من بين الحرفين فزحف أحدهما إلى الآخر ".[٣]

وفي لسان العرب: " زحف: زحف إليه يزحف زحفا وزحوفا وزحفانا: مشى. ويقال: زحف زحف الدَّبى[٤] إذا مضى قدما ، والزحف: الجماعة يزحفون إلى العدو بمرة ، وفي الحديث: " غُفر له وإن كان فر من الزحف"[٥] ، أي فر

١– سورة الأنفال : آية رقم (١٥) .

٢– إرشاد العقل السليم : أبو السعود(١١/٤) .

٣ – تهذيب اللغة: الأزهري (٢١٥/٤) "زحف" ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت– الأولى٢٠٠١م.

٤– الدبي: صغار النمل، وقيل :صغار النحل . ينظر : المخصص: ابن سيده(٣١٨/٢) ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت– الأولى، ١٤١٧هـ ، وتاج العروس : الزبيدي (٢٥٨/١٤) ، طبعة : دار الهداية –الكويت – الأولى ١٩٦٥م.

٥ – الحديث بتمامه : " من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، =

من الجهاد ولقاء العدو في الحرب ، وفي التنزيل: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا**)، والجمع زحوف، أي إذا لقيتموهم زاحفين، وهو أن يزحفوا إليهم قليلا قليلا، فلا تولوهم الأدبار؛ وأصل الزحف للصبي، وهو أن يزحف على إسته قبل أن يقوم، وإذا فعل ذلك على بطنه قيل: قد حبا، وشبه بزحف الصبيان مشي الفئتين تلتقيان للقتال، فيمشي كل فيه مشيا رويدا إلى الفئة الأخرى قبل التداني للضراب".[1]

ويطلق الزحف في اللغة –أيضا– على الجيش الكثير ، ويسمى زحفاً تسمية له بالمصدر، كما تقول: هذا رجل عدل، والجمع: زحوف[2]، وشبه مشي الجيش الكثير للقتال بزحف الصبيان؛ لأن الجيش إذا كان عددهم كبيراً وضخماً فإنه مهما أسرع فهو يبدو للرائي البعيد كأنه يزحف كما يزحف الوليد؛ فلكثرته يرى كأنه يزحف، أي: يدب دبيباً قبل الالتقاء للضراب أو الطعان .

وكذلك من معانيه في اللغة "الإسراع"، يقال: أزحف لنا عدونا إزحافا، أي : صاروا يزحفون إلينا مسرعين ليقاتلونا.

ومنه قول العجاج[3] يصف الثور والكلاب: ثم أزحفت وأزحف ، أي أسرع، ومنه سميت النار سريعة الاشتعال بنار الزحفتين ، وقد قيل لنار العرفج [4]: نار الزحفتين؛ لأن العرفج إذا التهبت فيه النار أسرعت فيه

=

غفر له وإن كان فر من الزحف" ، والحديث أخرجه أبوداود في سننه : كتاب : الصلاة ، باب: الاستغفار(٥٨/٢) ، وأخرجه الترمذي في سننه : أبواب: الدعوات ، باب : ما جاء في دعاء الضيف (٥٦٨/٥) ، واللفظ لهما ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

١- لسان العرب : (١٢٩/٩) " زحف" .

٢- المصباح المنير: الفيومي ، (٢٥١/١) "ز ح ف" ، طبعة : المكتبة العلمية – بيروت– بدون .

٣- هو الشاعر رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحّاف، أو أبو محمد، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة. مات في البادية سنة (١٤٥) هـ، وقد أسنّ. وله ديوان مطبوع وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة . ينظر : وفيات الأعيان : ابن خلكان (٣٠٣/٢) .

٤- العرفج: ضرب من النبت، واحدته عرفجة، وهو نبات طيب الريح أغبر إلى الخضرة، =

وعظمت، وشاعت واستفاضت، فهي أسرع من كل شيء، فمن كان في قربها يزحف عنها، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها، في مثل تلك السرعة؛ فيحتاج الذي يزحف عنها أن يزحف إليها من ساعته؛ فلا تزال للمصطلي كذلك، ولا يزال المصطلي بها كذلك، فمن أجل ذلك قيل: نار الزّحفتين".[١]

ومن معانيه –أيضا– الإعياء الشديد ، إذ يقال : زحف في المشي يزحف زحفا وزحفانا: أعيا، وزحف البعير يزحف زحفا وزحوفا وزحفانا وأزحف: أعيا فجر فرسنه، وفي التهذيب: أعيا فقام على صاحبه، فهو مزحف، ويقال: ناقة زحوف ومزحاف وهي المتعبة التي تجر فراسنها، ويقال أزحف البعير إذا أعيا، وإبل مزاحيف،وزحف المعيي يزحف زحفا وزحوفا، ويقال لكل معي زاحف مهزولا كان أو سمينا ، وزحفت في المشي وأزحفت إذا أعييت ، والزاحف والزاحك: المعيي، ويطلق على الذكر والأنثى.[٢]

أقوال المفسرين في معنى كلمة " زحفا ":

ذهب المفسرون في غالب أقوالهم إلى ما ذهب إليه علماء اللغة ، فمنهم من فسّر الزحف بالمعنى المصدري فذكر أنه بمعني : المشي للقاء العدو والدنو والاقتراب منه ، لأن المقاتلين يدبون إلى أقرانهم دبيبا، يقول القرطبي: "قوله تعالى: (زحفا) الزحف الدنو قليلا قليلا، وأصله الاندفاع على المقعدة ، ثم سمي كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفا، والتزاحف: التداني والتقارب، يقال: زحف إلى العدو زحفا. وازدحف القوم، أي مشى بعضهم إلى بعض ، يقول: إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم ولا تعطوهم أدباركم. حرم الله ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد وقتال الكفار". [٣]

ومنهم من فسره بالجيش الدهم الكثير العدد، وجعله وصفا لذات الجيش، يقول البيضاوي[٤] –رحمه الله– : "قوله : (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ**

=

وله زهرة صفراء وليس له حب ولا شوك. وهو سريع الاشتعال بالنار، ولهبه شديد الحمرة. ينظر : لسان العرب : (٣٢٣/٢) .

١– لسان العرب : ابن منظور (٣٢٣/٢) .

٢– تهذيب اللغة : الأزهري (٢١٤/٤).

٣ – الجامع لأحكام القرآن : القرطبي (٣٨٠/٧)

٤– عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء (بفارس – قرب شيراز) وولي

=

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا) أي : جيشا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون، وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا، سمي به الجيش وجمع على زحوف وانتصابه على الحال. فلا تولوهم الأدبار بالانهزام فضلا أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم"[1] .

ويقول صاحب البحر المحيط : " الجماعة يمشون إلى عدوهم هو الزحف "[2].

وفى محاسن التأويل:" و (الزحف) الجيش الكثير، تسمية بالمصدر، والجمع زحوف، مثل فلس وفلوس. ويقال: زحف إليه، أي مشى، وزحف الصبي على استه قبل أن يقوم. شبه بزحف الصبيان مشي الجيش الكثير للقتال، لأنه لكثرته يرى كأنه يزحف، أي يدب دبيبا قبل التداني للضراب أو الطعان".[3]

وقد ذكر بعض المفسرين الوجهين ، يقول ابن عاشور فى التحرير والتنوير : "والزحف أصله مصدر زحف من باب منع، إذا انبعث من مكانه متنقلا على مقعدته يجرر جيله كما يزحف الصبي ، ثم أطلق على مشي المقاتل إلى عدوه في ساحة القتال زحف لأنه يدنو إلى العدو باحتراس وترصد فرصة، فكأنه يزحف إليه، ويطلق الزحف كذلك على الجيش الدهم، أي الكثير عدد الرجال، لأنه لكثرة الناس فيه يثقل تنقله فوصف بالمصدر، ثم غلب إطلاقه حتى صار معنى من معاني الزحف ويجمع على زحوف" [4]، ويقول صاحب فتح البيان :" **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا**) الزحف : الدنو قليلا قليلا وأصله الاندفاع على الآلية ثم سمى كل ماش في الحرب إلى آخر زاحفا، والتزاحف : التداني والتقارب، يقال زحف إلى العدو زحفا

=

قضاء شيراز مدة ، وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها، من تصانيفه " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " المعروف بتفسير البيضاوي، و" طوالع الأنوار" في التوحيد،وله في أصول الفقه"منهاج الوصول إلى علم الأصول"، توفي سنة (٦٨٥هـ) ينظر: طبقات المفسرين : الداوودي(٢٤٨/١) .

١- أنوار التنزيل واسرار التأويل البيضاوي (٣-٥٣)

٢- البحر المحيط : أبوحيان (٢٩١/٥)

٣- محاسن التأويل : القاسمي (٢٦٦/٥)

٤- التحرير والتنوير: ابن عاشور (٢٨٦/٩)

وازدحف القوم أي مشى بعضهم إلى بعض، ويطلق على الجيش الكثير زحف تسمية بالمصدر والجمع زحوف، أي حال كونكم زاحفين إلى الكفار أو حال كون الكفار زاحفين إليكم أو متزاحفين على أدبارهم في بطء السير، وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضهم ببعض يتراءى أن سيره بطيء وإن كان في نفس الأمر سريعا فالمقصود من هذه الحال بعد كون المراد التشبيه ما يلزم هذه المشابهة وهو الكثرة أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون"[١]

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

١- من الأسرار البيانية في هذه الفريدة " بلاغة الإيجاز " ، حيث أغنت في موضعها عن كلمات كثيرة ، ودلت بلفظها المتفرد على معان كثيرة ، فهي تصور بدقة حركة هذا الجيش، فقد كان جيشا دهما هادرا تحرك بعدد هائل مسرعا نحو عدوه مترصدا له ، وهو لكثرته يخيل للناظر من بعيد أنه يزحف، ولذا فإن هذا اللفظ يحمل في طياته معاني (الكثرة – السرعة– الطلب والترصد وتحين الفرصة) وربما لو ذكرت كلمة من هذه لما أفادت ما أفادته كلمة "زحفا " ، وهذا ما كان عليه حال القوم لاسيما بعد استنفار أبي سفيان لهم وإرساله من يخبرهم بضرورة خروجهم لإنقاذ تجارتهم.

يقول العلامة ابن هشام[٢] في تصوير حال المشركين أثناء خروجهم للقاء المسلمين في غزوة بدر : " فتجهز الناس سراعا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين ، إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد". [٣]

١- فتح البيان في مقاصد القرآن : صديق خان (١٤٥/٥).

٢-هو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري؛ صاحب السيرة النبوية ، قال أبو القاسم السهيلي عنه في كتاب " الروض الأنف " – شرح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم –: إنه مشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب.وتوفي بمصر في سنة (٢١٣) .ينظر :وفيات الأعيان : ابن خلكان (١٧٧/٣) .

٣- السيرة النبوية : ابن هشام (١-٦٠٩) ، طبعة : شركة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م .

ولعلنا نلحظ فيما ذكره ابن هشام ما يوضح معنى زحفا ، فقد خرجوا سراعا ، فقوله : وكذلك أوعبت قريش في الخروج بمعنى أنهم خرجوا كلهم إلى الغزو فلم يتخلف منهم أحد ، وهذا يعني أنهم كانوا عددا هائلا ، حتى إن من تخلف منهم لعذر أرسل غيره مكانه ، وهذا الكلام على اعتبار كلمة " زحفا " حالا من الكافرين .

- ويري بعض المفسرين جواز أن يكون اللفظ حالا من المؤمنين ، وتأوّل من قال بهذا بأن الأمر هنا إشعار بما سيكون منهم يوم حنين حين انهزموا وهم اثنا عشر ألفا وقد كانوا كثرة كاثرة ، يقول العلامة الزمخشري –رحمه الله : " أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين، وهم زحف من الزحوف اثنى عشر ألفاً، وتقدمة نهى لهم عن الفرار يومئذ"[1] ، وفي تأويله بيوم حنين بُعد شديد ذلك لأن القول بهذا خروج بالآية الكريمة عن سياقها ، فسورة الأنفال كلها في بدر ، وما قبل هذه الآية وما بعدها في غزوة بدر ، فكان حمل الآية على حدث في غزوة بدر أولى من حملها على حدث وقع في غزوة حنين .

يقول العلامة أبو السعود : " وحملُه على الإشعار بما سيكون منهم يومَ حُنينٍ حيث تَوَلَّوا مدْبرين وهم زحفٌ من الزحوف اثنا عشر ألفاً بعيدٌ" [2]

ويري الباحث– والله أعلم – أنه على اعتبار لفظ " زحفا" حالا من المؤمنين ربما يحمل معنى الزحف هنا على بعض إطلاقات اللفظ اللغوية ، وهو معني " الإعياء والتعب" ، فكأن المقصود هو الأمر بالثبات عند لقاء الأعداء حال كونكم أيها المؤمنون متعبين منهكين أو غير مستعدين كما كان الحال في بدر فلا يجوز الفرار وتولية الأدبار .

- وذكر بعضهم كذلك جواز أن يكون لفظ " زحفا " حالا من الفريقين ، أي : يزحف بعضكم نحو بعض ، والمعني حينئذ : التداني والتقارب وتقابل الصفوف والأشخاص للنزال والالتحام ، يقول الشيخ صديق خان : " في هذه الآية نهى الله المؤمنين أن ينهزموا عن الكفار إذا لقوهم، وقد دب بعضهم إلى بعض للقتال".[3]

١- الكشاف : الزمخشري (٢٠٦/٢)

٢- إرشاد العقل السليم : أبو السعود (١٢/٤) .

٣- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : صديق حسن خان ، ص(٣٠٦)، طبعة : دار الكتب العلمية–بيروت– الأولي ٢٠٠٣

٢- وقد أشار الشيخ الشعراوي -رحمه الله- إلى سر بديع آخر من أسرار التعبير بهذه الفريدة ، وقد بنى الشيخ كلامه على اعتبار أن كلمة " زحفا " حال من الفاعل ، أي من المؤمنين ، حيث ذكر أن هذه اللفظة القرآنية البديعة تفيد الحركة للقاء الأعداء "كتلة واحدة متماسكة مترابطة" ، بحيث يظهر الجيش للناظرين وكأنه يزحف ، يقول الشيخ -رحمه الله- : " ولكن ما حكاية «زحفا» هنا في هذه الآية الكريمة؟ ولماذا لم يقل مهرولين إلى القتال؟ ونقول: إن الزحف هو انتقال كتلة لا ترى الناقل فيها، فمن يراها يظن أن الكتلة كلها تتحرك ، وكأن الحق -تعالى- يقصد: أريد منكم أن تتحركوا إلى الحرب كتلة واحدة متلاصقين تماما ، فيظهر الأمر وكأنكم تزحفون، وزحفا أصلها زاحفين، وقد عدل -سبحانه وتعالى- عن اسم الفاعل وجاء بالمصدر، مثلما نقول عن إنسان عادل: إنه إنسان عدل، أي أن عدله مجسم، والحق -تبارك وتعالى- يوضح لنا هنا أن لقاء الكفار يجب أن يكون زحفا أي كتلة واحدة متماسكة، فيصيب المشهد الكافرين بالرعب حين يرون هذه الكتلة الضخمة التي لا يفرق أحد بين أعضائها ، وهكذا تكون المواجهة الحقيقية"[١]، وعليه فإن هذا اللفظ لا يعني التحرك بسرعة للقاء العدو فقط ، بل لابد أن يكون التحرك على هيئة كتلة واحدة متماسكة مترابطة ، وهذا -بعد توفيق الله- أدعى لتحقيق النصر على الأعداء ، ولذا فإن هذه اللفظة أغنت بلفظها المتفرد عن هذه الكلمات الكثيرة .

<u>الفريدة الثالثة : لفظ (متحيزا)</u>

يقول الله -تعالى- **(وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ)**[٢]

سياق الآية الكريمة :

جاءت الآية الكريمة في سياق الوعيد الشديد لمن يفر من الزحف ويولى الأدبار ويجبن عن لقاء الأعداء ، وقد وضحت الآية الكريمة أن تولية الأدبار والفرار من الزحف محرم إلا في حالتين: الحالة الأولى: أن يكون المؤمن عند توليته الأدبار مائلا من مكانه إلى مكان آخر أصلح للقتال فيه، أو أن يوهم

١- تفسير الشعراوي (٤٦٠٩/٨) .
٢- سورة الأنفال : آية رقم (١٦)

عدوه بأنه منهزم أمامه استدراجا له، ثم يكر عليه فيقتله، الحالة الثانية: أن يكون في توليه منحازا إلى جماعة أخرى من الجيش ، ومنضما إليها للتعاون معها على القتال، وهذا كله من أبواب خدع الحرب ومكايدها. وقد توعد سبحانه الذي ينهزم أمام الأعداء في غير هاتين الحالتين، بقوله : (**فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ**)، أي: ومن يول الكافرين يوم لقائهم دبره، غير متحرف ولا متحيز، فقد رجع متلبسا بغضب من الله، لأن التولي يوم الزحف من الكبائر التي وردت في الحديث الشريف، ومأواه الذي سيأوي إليه في الآخرة : هو دار العقاب المعدة للعصاة والكفار، جهنم وبئس المصير.

الدلالة اللغوية لكلمة " متحيزا " :

يدور المعني اللغوي لهذه الفريدة حول "السير اللين إلى مكان ما للانضمام والتنحي إليه" ، أورد ابن فارس فى تهذيب اللغة ما نصه: " الحوز: السير اللين، وقيل الحوز من الأرض: أن يتخذها رجل، ويبين حدودها فيستحقها، فلا يكون لأحد فيها حق معه، فذلك الحوز ، ومنه قوله : "أو متحيزا إلى فئة" أي: يصير حيز فئة من المسلمين يمنعونه من العدو، يقال: تحوز وتحيز وأنحاز بمعنى واحد والحيز: الناحية : (فما تحوز له عن فراشه)[1] أي: ما تنحى". [2]

وذكر الزمخشري في أساس البلاغة : "حاز المال، واحتازه لنفسه، وعليك بحيازة المال ، وحاز الإبل: ساقها إلى الماء، وانحاز عن القوم: اعتزلهم، وانحاز إليهم وتحيز: انضم ، ومنه " أو متحيزا إلى فئة " ، ومن المجاز: فلان يحمي حوزة الإسلام، وأنا في حيز فلان وكنفه. وقال لمن نكح المرأة: قد حازها. ورجل أحوزي: يسوق ما وكل إليه أحسن مساق"[3] .

وفى لسان العرب : " والتحوز هو التنحي، وفيه لغتان: التحوز والتحيز، والتحوز: التفعل، والتحيز : التفيعل ، والتحيز والتحوز: التلوي والتقلب، وخص بعضهم به الحية ، يقال: تحوزت الحية وتحيزت أي تلوت، ومن كلامهم: ما لك تحوز تحيز الحية ؟ وقيل : هو تفيعل من حزت الشيء،

١- الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت (٤١٧/٣٧) ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات . طبعة : مؤسسة الرسالة –بيروت– الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢- تهذيب اللغة : (١٥٥/٥) " حوز ".

٣- أساس البلاغة : الزمخشري (٢٢١/١) " ح و ز".

والحوز من الأرض : أن يتخذها رجل ويبين حدودها فيستحقها فلا يكون لأحد فيها حق معه، فذلك الحوز، وكل من ضم شيئا إلى نفسه من مال أو غير ذلك، فقد حازه حوزا وحيازة ، وحازه إليه واحتازه إليه وحوز الدار وحيزها : ما انضم إليها من المرافق والمنافع ، وهو من حزت الشيء إذا جمعته أو نحيته؛ ومنه حديث معاذ، ﷺ: (فتحوز رجل فصلى صلاة خفيفة)[١] ،أي تنحى وانفرد، ومنه حديث يأجوج: (حوز عبادي إلى الطور)[٢] ، أي ضمهم إليه ، وهو من قوله تعالى: (أو متحيزا إلى فئة)، أي منضما إليها. والتحوز والتحيز والانحياز بمعنى : وقيل : الحوز بمعنى رجحان العقل وابداء الرأي ومنه يقال الرجل الحوزي الذي له إبداء من رأيه وعقله مذخور".[٣]

أقوال المفسرين في معني كلمة " متحيزا " :

يقول الرازي[٤]– رحمه الله : " أو متحيزا إلى فئة ، يقال: حزته فانحاز وتحوز وتحيز إذا انضم واجتمع، ثم سمي التنحي تحيزا، لأن المتنحي عن جانب ينفصل عنه ويميل إلى غيره ، إذا عرفت هذا فنقول: الفئة الجماعة، فإذا كان هذا المتحيز كالمنفرد، وفي الكفار كثرة، وغلب على ظن ذلك المنفرد أنه إن ثبت قتل من غير فائدة، وإن تحيز إلى جمع كان راجيا للخلاص، وطامعا في العدو بالكثرة، وجب عليه التحيز إلى هذه الفئة فضلا عن أن يكون ذلك جائزا.[٥]

١– أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب : الأدب ، باب: من من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٢٦/٨) .

٢– أخرجه الإمام الترمذي في سننه:أبواب الفتن، باب:ما جاء في فتنة الدجال (٥١٠/٤) ، وقال الترمذي:هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر.

٣– لسان العرب : ابن منظور(٣٤١/٥) " حوز" .

٤– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة، ومنها في علم الكلام المطالب العالية ونهاية العقول وكتاب الأربعين وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان ، توفي سنة (٦٠٦) هـ. ينظر: طبقات المفسرين: السيوطي(١١٩) .

٥– مفاتيح الغيب : الرازي (٤٦٥/١٥)

وقال البغوي : " (أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ) أي: منضما صائرا إلى جماعة من المؤمنين يريد العود إلى القتال، ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم، إلا على نية التحرف للقتال والانضمام إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعودون إلى القتال، فمن ولى ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد، كما قال تعالى: (فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ)[1]، وفى تفسير المنار : " أو متحيزا إلى فئة أي: متنقلا إلى فئة من المؤمنين في حيز غير الذي كان فيه لينصرهم على عدو تكاثر جمعه عليهم، فصاروا أحوج إليه ممن كان في حيزهم فقد باء بغضب من الله أي: فقد رجع متلبسا بغضب عظيم من الله عليه ومأواه جهنم وبئس المصير" [2].

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

١- بعد التأمل في الدلالات اللغوية لهذه الفريدة يمكن القول إن هذه الكلمة تفيد بتفردها جملة من المعاني الدقيقة التى لا تشتمل عليها كلمة أخرى مثل كلمة "منضما " أو " تنحيا"، لأنها تعني : الانضمام إلى الفئة وفق خطة محكمة وبدقة متناهية وبعد رأي صائب وتفكير دقيق ، وبصر بطبيعة المكان والزمان الذي ينضم فيه إلى الجيش ويتحوز بهم، كي يتمكن من الكر على عدوه مع تلك الفئة ، ويحقق الغرض الأسمي من الانضمام وهو تقوية المواجهة مع العدو ، وعليه فكلمة " متحيزا " أفادت الانضمام على هيئة مخصوصة وبشروط مخصوصة لتحقيق أهداف مخصوصة ، فليس مجرد انضمام أو مطلق تحيز ، ومن شروط هذا الانضمام : اختيار الحيز المناسب ، واختيار الزمان المناسب ، والمعرفة بطبيعة السير ، والانضمام إلى فئة من الجيش بغرض التعاون معهم على القتال ، وأن يكون قصده ونيته معاودة القتال ، وهذه الشروط تجعل من الانضمام فرصة جديدة ملائمة لاستئناف القتال وتحقيق النصر على الأعداء ، وإلا كان فرارا من الزحف يقول العلامة الطاهر بن عاشور : " فهو تولٍ لمقصد القتال، وليس المراد أن ينحاز إلى جماعة مستريحين لأن ذلك من الفرار". [3]

١- معالم التنزيل : البغوي (٢٧٧/٢) .

٢- تفسير المنار : محمد رشيد رضا (٩-٥١٣)

٣ - التحرير والتنوير :ابن عاشور (٢٩١/٩)

وقد أشار الشيخ / محمد سيد طنطاوي–رحمه الله– إلى بعض هذه الشروط التى أفادتها كلمة " متحيزا " بقوله : " أن يكون في توليه منحازا إلى جماعة أخرى من الجيش ومنضما إليها للتعاون معها على القتال، حيث إنها في حاجة إليه وهذا كله من أبواب خدع الحرب ومكايدها" [١] ، ويقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله – : " (أو متحيزا) مأخوذ من «الحيز» ، وهو المكان الذي يشغله الجسم، وكل واحد منا له «حيز» في مكان يشغله، أي أن كل واحد منا متحيز، والحيز هو الظرف المكاني الذي يسع الإنسان منا واسمه ظرف مكان، وكل واحد من المخاطبين له مكان وهو متحيز بطبيعته، وجاءت كلمة «متحيز» في هذه الآية لتوجه كل مؤمن مقاتل أن يأخذ لنفسه حيزا جيدا يمكنه من إصابة الهدف، وكذلك تفيد ضرورة انضمام المقاتل دائما إلى فئة مع إخوانه بهدف تقوية المواجهة مع العدو". [٢] .

ولعله مما يؤيد هذا القول ويدعمه مجيء هذه الفريدة على وزن التفيعل، مما يوحي بأن الانضمام كان بعد روية وطول تأمل وتدبر ومزيد حكمة ، وكان عن عمد وقصد ، حتى ينتج أثره ويأتي بثمرته ، فهو ليس انفعالا لحظيا ، ولذا فإن كلمة متحيزا أبلغ من كلمة منحازا ، لأن كلمة منحازا تعني استجابة الفاعل للحوز وهو الجمع، فقولنا: انحاز أي انضمّ، فالمنحاز إلى جماعة هو منضم إليهم داخل في مجملهم، وأما التحيز فهو مصدر الفعل تحيَّز وأصله (تحيْوَز) مزيد حاز بالياء على بناء تفيْعل[٣]، وأُعلت الواو منه لاجتماع الياء والواو وسبق إحداهما بالسكون، ويدل البناء على تعمد وقصد للفعل؛ وبهذا يختلف عن انحاز قليلًا فهو استجابة للحوز بأن هذا تحيّز أي تعمد للحوز، فالمتحيز هو المتعمد لضمّ نفسه إلى الجيش.

٢- ويرى الباحث أن هذه الفريدة تنطوي على معنى آخر من المعاني البديعة الدقيقة ، وهو أن التحيز يفيد في بعض معانيه الانتصار للفكرة والمبدأ ، إذ يقال لمن يؤمن بمبدأ ويقتنع بفكرة أنه متحيز لها أو منحاز إليها ، وعليه فالكلمة توحي في بعض دلالاتها بالتوجه النفسي والقلبي نحو هذه الفئة المؤمنة التى انضم إليها هذا المجاهد .

١- الوسيط في تفسير القرآن : د/ محمد سيد طنطاوي (٦٢/٦)

٢- تفسير الشعراوي : (٤٦١٣/٨)

٣- لسان العرب : ابن منظور (٣٤٠/٥) .

فهو مع كونه انضماما حسيا إلى فئة يتقوى بها على استئناف القتال ، هو كذلك انضمام نفسي وقلبي تتكاتف مع الجهود وتجتمع حوله القلوب مع الأجساد لدحض الكفر وأهله والانتصار للحق وأهله .

جاء في معجم اللغة العربية المعاصر :

"تحيَّزَ إلى / وتحيَّزَ لـ يَتحيَّز ، تحيُّزًا، فهو مُتحيِّز ، والمفعول مُتحيَّز إليه، تَحيَّز إليه/ تحيَّز له انضمّ إليه موافقًا له في الرَّأي أو حاباه ، ويقال : بلا تحيُّز: بلا محاباة ".[1]

الفريدة الرابعة : لفظ (فشرد بهم)

قال الله –تعالى – : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [2]

سياق الآية الكريمة : بعد أن بين حال مشركى قريش فى قتالهم له ببدر– قفى على ذلك بذكر حال فريق آخر من الكفار الذين عادوا النبي –صلى الله عليه وسلم– وقاتلوه وهم اليهود الذين كانوا فى بلاد الحجاز ، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآيات فى ستة رهط من اليهود منهم ابن تابوت، وقال مجاهد: نزلت فى يهود المدينة ، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف، وهو فيهم كأبى جهل فى مشركى مكة، ثم ذكر –سبحانه– ما يجب أن يكون مع أمثالهم من الخونة.

الدلالة اللغوية لكلمة " فشرد بهم " :

قال الزجاج[3] : فشرد بهم من خلفهم : افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم[4] ، وقال ابن الأنباري[5] : " ومعناه: فسمع بهم من خلفهم. ويقال:

١– معجم اللغة العربية المعاصرة: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ، طبعة : عالم الكتب– بيروت– الأولى، ١٤٢٩ هـ .

٢– سورة الأنفال : آية رقم (٥٧) .

٣– أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب الأمالي، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب، ، وكان يخرط الزجاج، فنسب إليه ، توفي سنة (٣١٦) ينظر: بغية الوعاة : السيوطي (٤١١/١) .

٤– معاني القرآن : الزجاج (٤٢٠/٢) ، طبعة : عالم الكتب – بيروت–الأولى ١٤٠٨ هـ

٥–أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان علامة وقته في الأدب وأكثر الناس حفظا ، وكان صدوقا ثقة دينا خيرا من أهل السنة، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث =

معناه: فزع بهم من خلفهم[١] ، وفى تهذيب اللغة : " شرد البعير يشرد شرادا، وكذلك الدواب، وفرس شرود : المستعصي على صاحبه، وشرد الجمل شرودا فهو شارد، فإذا كان مشردا فهو شريد طريد، وتقول: أشردته، وأطردته؛ إذا جعلته شريدا طريدا لا يؤوى"[٢] ،

وقال الفراء[٣] في قوله تعالى: (فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) يقول : إن أسرتهم يا محمد فنكل بهم من خلفهم ممن تخاف نقضه للعهد؛ لعلهم يذكرون فلا ينقضون العهد، وأصل التشريد التطريد.[٤]

وفى تاج العروس : " شرد : (شرد) البعير والدابة يشرد شردا، و (شرودا) ، كقعود، وشرد الرجل شرودا: ذهب مطرودا، (والتشريد: الطرد، والتفريق) ، وقوله عز وجل: (فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) أي : فرق وبدد جمعهم.[٥]

=

والمشكل والوقف والابتداء وله في اللغة كتاب الزاهر، توفي (٣٢٨) هـ. ينظر : إنباه الرواة : القفطي (٢٠١/٣) .

١ – الزاهر في معاني كلام الناس : أبوبكر الأنباري(٤٥١/١).

٢ – تهذيب اللغة : الأزهري (١١–٢٢٠) " شرد"

٣– يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، فكان أكثر مقامه بها، فإذا جاء آخر السنة انصرف إلى الكوفة ، فأقام أربعين يوما في أهله ، يوزع عليهم ما جمعه ويبرهم، وتوفي في طريق مكة، وكان مع تقدمه في اللغة فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، توفي سنة (٢٠٧) هـ . ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجزري (٣٧١/٢) .

٤ – معاني القرآن : الفراء (٤١٤/١) ، طبعة : الدار المصرية للتأليف والترجمة –مصر– الأولي، بدون .

٥– تاج العروس : الزبيدي (٢٥٠/٨) " شرد " .

أقوال المفسرين في معنى كلمة "فشرد بهم " :

ذهب المفسرون إلى ما ذهب إليه أهل اللغة في بيان معنى هذه الفريدة القرآنية ، وتدور معظم أقوالهم حول معاني : التفريق والطرد والإبعاد والتشهير والتفزيع .

يقول صاحب الكشاف : " فإما تثقفنهم في الحرب فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ، أي : فرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم، من وراءهم من الكفرة، حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد، اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم". [1] .

وقال العلامة الرازي : " والتشريد عبارة عن التفريق مع الاضطراب. يقال: شرد يشرد شرودا، وشرده تشريدا، فمعنى الآية أنك إن ظفرت في الحرب بهؤلاء الكفار الذين ينقضون العهد فافعل بهم فعلا يفرق بهم من خلفهم. ، وقيل : تثخن فيهم القتل حتى يخافك غيرهم، وقيل: نكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من ناقضي العهد لعلهم يذكرون أي لعل من خلفهم يذكرون ذلك النكال فيمنعهم ذلك عن نقض العهد".[2]

وقال أبو السعود : (فشرد بهم) أي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بأن تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب أن تنكل (من خلفهم) أي من وراءهم من الكفرة وفيه إيماء إلى أنهم بصدد الحرب قريب من هؤلاء.[3]

أسرار التعبير بهذه الفريدة

هذه الفريدة القرآنية البديعة تفيد بلفظها البليغ "إيقاع عقوبة من نوع خاص"، فليس المقصود مجرد إنزال عقوبة بهم ، بل المقصود أن ينزل بهم عقوبة شديدة تكون سببا في تحقيق أمرين : التنكيل بهم ، وردع غيرهم فلا يحدث اجتراء على المسلمين بنقض عهد أو إعلان حرب، ولذا كان التعبير بهذا اللفظ الذي يفيد المعنيين " التنكيل والردع " فكأنه قال " نكل بهم

١- الكشاف : الزمخشري (٢/٢٣٠)

٢ – مفاتيح الغيب :الرازي (١٥/٤٩٧)

٣-إرشاد العقل السليم : أبو السعود (٤/٣١)

واردع غيرهم" ، ولعل هذا هو ما أشار إليه العلامة الزجاج –رحمه الله– بقوله : " افعل بهم فعلا من القتل تفرق به من خلفهم". [١] .

وقال الإمام البقاعي[٢] –رحمه الله – " فإذا أوقعت بهم ذلك لم يجسر عليك أحد بعده اتعاظا بهم واعتبارا بحالهم" [٣] ، وقد أشار إلى هذا المعنى الدقيق العلامة ابن عجيبة في تفسيره بقوله : " فشرد بهم أي: فرق عنك من يناصبك بسبب تنكيلهم وقتلهم ونكل بهم من خلفهم بأن تفعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم لعلهم يذكرون أي: لعل من خلفهم يتعظون فينزجروا عن حربك" [٤] ، وجاء في تفسير المنار : " فشرد بهم من خلفهم أي: فنكل بهم تنكيلا يكونون به سببا لشرود من وراءهم من الأعداء وتفرقهم كالإبل الشاردة النادة اعتبارا بحالهم ، والمراد بمن خلف يهود المدينة: كفار مكة وأعوانهم من مشركي القبائل الموالية لهم، فإنهم هم الذين تواطئوا مع اليهود الناكثين لعهده–ﷺ – على قتاله" [٥]..

يقول العلامة الشيخ الشعراوي : " فشرد بهم من خلفهم، أي اجعلهم أداة لتشريد من خلفهم. وعليك أن تؤدبهم أدبا يجعل الذين وراءهم يخافون منكم، ويبتعدون عنكم، وكلما رأوكم أصابهم الخوف والهلع ، أي أن المطلوب أن نجاهدهم بقوة وبدون شفقة، حتى لا يفكر في مساندتهم من جاءوا خلفهم لينصروهم أو يؤازروهم بالدخول معهم في القتال، ولا تحدثهم أنفسهم في أن يستمروا في المعركة، فشرد بهم، والتشريد هو التشتيت والتفريق والإبعاد ولكن

١– معاني القرآن : الزجاج (٤٢٠/٢) .

٢– هو العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن بن على بن أبى بكر البقاعى، وُلِدَ سنة ٨٠٩هـ، ورحل فى طلب العلم إلى دمشق وبيت المقدس ومصر ثم عاد إلى دمشق وتوفى بها سنة ٨٨٥ هـ وله مصنفات كثيرة فى الحديث والتفسير والفقه واللغة والتاريخ، وأشهر مؤلفاته كتابه " نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور " ، توفي سنة (٨٨٥) ينظر: شذرات الذهب : ابن العماد(٥٠٩/٩) طبعة: دار ابن كثير –دمشق – الأولى ١٤٠٦هـ

٣– نظم الدرر : البقاعي ((٣١٠/٨)

٤– البحر المديد: ابن عجيبة (٣٤١/٢)

٥– تفسير المنار :(٤٤/١٠)

بقسوة. فحيثما يريدوا أن يذهبوا؛ امنعهم وشتتهم على غير مرادهم. وقول الحق سبحانه وتعالى: (لعلهم يذكرون) أي لكي تكون هذه التجربة درسا لهم؛ كيلا يفكروا مرة أخرى في حرب معك؛ لأنهم سوف يتذكرون ما حدث لهم فيبتعدون عن مواجهتك. [1]

١- تفسير الشعراوي : (٤٧٦٨/٨)

المبحث الثالث
التعريف بسورة التوبة

١- أسماء السورة الكريمة:

عرفت هذه السورة منذ العهد النبوي بجملة من الأسماء منها: التوبة ، وبراءة ، والفاضحة ، والمقشقشة ، والمنقرة ، والمثيرة ، والمبعثرة ، والمدمرة ، والمخزية ، والكاشفة ، والعذاب ، والعاصفة ، والسيف ، إلى غير ذلك من الأسماء التي اشتهرت بها هذه السورة الكريمة ، وعلى وجه العموم فإن هذه الأسماء تدل على ما حوته السورة من الموضوعات والمباديء والقواعد والأحكام ، وليس في سور القرآن الكريم أكثر أسماء منها ومن سورة الفاتحة.[١]

٢- ترتيب السورة الكريمة :

سورة التوبة هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف، فقد سبقتها سور الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال.

٣- عدد آياتها :

وعدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية عند الكوفيين، ومائة وثلاثون آية عند الباقين.[٢]

٤- زمان نزولها:

ما عليه جمهور أهل العلم أن السورة الكريمة مدنية ، وحكى كثير منهم الاتفاق على ذلك ، قال ابن كثير[٣]: هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري"[١] ، وقال صاحب المنار: "هي مدنية بالاتفاق" .[٢]

١- : مفاتيح الغيب : الرازي (٥٢١/١٥) ، والجامع لأحكام القرآن : القرطبي (٦١/٨) .

٢-البيان في عد آي القرآن : أبوعمرو الداني (١٦٠) .

٣- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مفسر مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه (البداية والنهاية) في التاريخ و (شرح صحيح البخاري)، و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) توفي سنة (٧٧٤) هـ. ينظر: طبقات المفسرين : الداوودي (١١٢/١) ، وشذرات الذهب : ابن العماد (٦٧/١) ، طبعة : دار ابن كثير، -دمشق - الأولى، ١٤٠٦ هـ.

واستثنى بعض أهل العلم بعض آيات ، يقول الألوسي[٣] – رحمه الله – "وقيل: إلا قوله– تعالى– : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ)[٤] ، وذلك لما روى في الحديث المتفق عليه[٥] من نزول هذه الآية الكريمة في النهى عن استغفار النبي–صلى الله عليه وسلم –لعمه أبى طالب[٦]، ويجاب عنه بجواز أن يكون نزولها تأخر عن ذلك، وبما يقوله العلماء في مثل هذا المقام من جواز نزول الآية مرتين: مرة منفردة ومرة في أثناء السورة [٧]، واستثنى ابن الفَرَس[٨] كذلك قوله– تعالى– : (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

=

١– تفسير القرآن العظيم : ابن كثير(١٠١/٤) .

٢–تفسير المنار : محمد رشيد رضا(١٣١/١٠)

٣– هو شهاب الدين الدين محمود بن عبد الله بن الحسين الألوسى البغدادى شيخ العلماء ببغداد جمع كثيراً من العلوم والفنون، وكان عالماً بالمذاهب الكلامية، وتفسيره " روح المعانى" من أشهر التفاسير وأجمعها ، وتوفى سنة (١٢٧٠) هـ ، وله ٦٣ سنة. ينظر :معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة (١٧٥/١٢) ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت– بدون ، ومعجم المفسرين المعاصرين : عادل نويهض (٦٦٥/٢) طبعة : مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان = الثالثة، ١٤٠٩ هـ.

٤– سورة التوبة : آية رقم (١١٣) .

٥– وفي هذا الحديث ورد أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل، فقال: (أي عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ). فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا يكلمانه، حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: (لأستغفرن لك ما لم أنه عنه). فنزلت: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} ، وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجنائز باب : إِذَا قَالَ الْمُشْرِكُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا إله إلا الله (٤٥٧/١) ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب : الإيمان، باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله (٤٠/١) .

٦– روح المعاني: الألوسي (٢٣٥/٥) .

٧– تفسير المنار : محمد رشيد رضا(١٣١/١٠)

٨– هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد الخزرجي من أهل غرناطة يعرف بابن الفرس ويكنى أبا عبد الله – سمع جده أبا القاسم وأباه عبد الله وتفقه به في الحديث =

أَنفُسِكُمْ) إلى آخر الآيتين اللتين في آخرها فزعم أنهما مكيتان ، ويرده ما رواه الحاكم وأبو الشيخ في تفسيره عن ابن عباس من أن هاتين الآيتين من آخر ما نزل من القرآن". [١]

والراجح أن السورة مدنية كلها ، ويشهد لذلك ما ذكره الشيخ طنطاوي بقوله : " ومن مراجعة نصوص السورة مراجعة موضوعية، ومراجعة ما جاء في الروايات المأثورة عن أسباب النزول وملابساته، ومراجعة أحداث السيرة النبوية كذلك ، يتبين أن السورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة وهذا القول هو الذي تسكن إليه النفس في الحديث عن زمان ومكان نزول السورة الكريمة لأن الذي يستعرض آياتها يراها- في مجموعها- ترسم للمؤمنين ما يجب أن تكون عليه علاقاتهم مع المشركين، ومع أهل الكتاب ومع المنافقين ومع غيرهم من الطوائف ، كما يراها ترسم لهم الطريق الذي يجب عليهم أن يتخذوه أساسا لدولتهم. ومنهاجا لحياتهم، حتى تستمر عزتهم، وتبقى كلمتهم عالية قوية بعد أن فتح الله لهم مكة وأذل الشرك وأهله ، كما يراها- أيضا- تتحدث باستفاضة عن أحداث قد وقعت خلال غزوة تبوك أو قبلها أو بعدها. وغزوة تبوك قد كانت في السنة التاسعة من الهجرة" . [٢]

٦- لماذا لم تذكر البسملة في أول سورة التوبة؟.

سورة التوبة هي السورة القرآنية الوحيدة التى لم تذكر البسملة في أولها ، وقد ذكر العلماء أقوالا متعددة في أسباب ذلك ، لخصها العلامة القرطبي تلخيصا حسنا في تفسيره ، فقال : " واختلف العلماء في سبب سقوط البسملة على أقوال خمسة: الأول: - كان من شأن العرب في زمانها ، إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه، كتبوا إليهم كتابا ولم يبدؤوا بالبسملة فلما نزلت سورة براءة ، وفيها نقض العهد الذي كان بين النبي -ﷺ- والمشركين، بعث

=

وكتب أصول الفقه والدين وسمع أبا الوليد بن قفزة وأبا محمد بن أيوب وأبا الوليد بن الدباغ وأبا الحسن بن هذيل وأخذ عنه القراءات ، وله تآليف، منها " كتاب أحكام القرآن " توفي سنة ٥٩٩ هـ .ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : ابن فرحون ، طبعة : دار التراث للطبع والنشر- القاهرة-بدون .

١-تفسير المنار : محمد رشيد رضا(١٣١/١٠) .

٢-التفسير الوسيط (١٧٩/٦)

بها النبي -ﷺ- على بن أبى طالب فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهود من ترك البسملة ، وقول ثان: - ما ورد من سؤال ابن عباس لعثمان عندما سأله عن سبب حذف البسملة ، يقول ابن عباس -رضي الله عنه- : قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال» وهي من المثاني، وإلى «براءة» وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: إن رسول الله -ﷺ -كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وكانت «الأنفال» من أوائل ما أنزل- أى بعد الهجرة، و «براءة» من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وقول ثالث: روى عن عثمان - أيضا- أنه قال : إنه لما سقط أولها سقط بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ معه، وقول رابع: - لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان اختلف أصحاب رسول الله -ﷺ- فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان، فتركت بينهما فرجة لقول من قال إنهما سورتان وتركت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لقول من قال هما سورة واحدة، فرضي الفريقان معا، وقول خامس: قال عبد الله بن عباس: سألت على بن أبى طالب لماذا لم يكتب في براءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان... ثم قال القرطبي -بعد عرضه لهذه الأقوال - : والصحيح أن التسمية لم تكتب، لأن جبريل- عليه السلام- ما نزل بها في هذه السورة"[1] ، وهذا القول الأخير هو ما رجحه كثير من أهل العلم ، يقول العلامة فخر الدين الرازي : " والصحيح أنه -ﷺ- أمر بوضع هذه السورة بعد سورة الأنفال وحيا، وأنه حذف بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من أول هذه السورة وحيا"[2] ، فلا مدخل لرأى أحد في الإثبات والترك، وإنما المتبع في ذلك هو الوحى والتوقيف .

٦- مناسبتها لسورة الأنفال:

قال الألوسى: "ووجه مناسبتها للأنفال أن في الأولى قسمة الغنائم وجعل خمسها لخمسة أصناف على ما علمت، وفي هذه قسمة الصدقات وجعلها

١- الجامع لأحكام القرآن(٦١/٨) .
٢- مفاتيح الغيب (٥٢١/٥)

لثمانية أصناف ، وفي الأولى- أيضا- ذكر العهود وهنا نبذها. وأنه- سبحانه- أمر في الأولى بالإعداد فقال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ونعى هنا على المنافقين عدم الإعداد بقوله: **(وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ)**، وأنه- سبحانه- ختم الأولى بإيجاب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وأن يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية، وصرح- جل شأنه- في هذه بهذا المعنى فقال: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين" . [١]

وقال صاحب المنار:" وأما التناسب بينها وبين ما قبلها فإنه أظهر من التناسب بين سائر السور بعضها مع بعض، فهي- أى التوبة- كالمتممة لسورة الأنفال في معظم ما فيهما من أصول الدين وفروعه والسنن الإلهية والتشريع وأحكام المعاهدات.. فما بدئ به في الأولى أتم في الثانية".[٢]

٧- أبرز موضوعات السورة الكريمة :

تناولت السورة الكريمة جملة من الموضوعات ، من أبرزها :

أ- إعلان براءة الله ورسوله من المشركين بسبب خيانتهم، ومنحهم الأمان لمدة أربعة أشهر لكي يدبروا فيها أمر أنفسهم، وتعلن السورة للناس عامة يوم الحج الأكبر أن الله ورسوله قد برئا من عهود المشركين، وأنها قد نبذت إليهم، وتستثني من هؤلاء المشركين أولئك الذين لم ينقضوا.

ب- بيان الأسباب التي دعت إلى البراءة من المشركين. والتي أوجبت على المؤمنين قتالهم.

ج- توجيه النداء للمؤمنين بتقديم محبة الله ورسوله على محبة الآباء والأبناء والأموال، وتهديد من يخالف ذلك .

د- تذكير المؤمنين بألوان من نعم الله عليهم، حيث نصرهم الله: على أعدائهم في مواطن كثيرة، وحيث أيدهم بعونه بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

هـ-الدعوة إلى الجهاد في حالتي اليسر والعسر والمنشط والمكره، وذم القاعدين المتكاسلين ، والتحذير من سوء عاقبة هذا التكاسل والتذكير بما كان من نصر الله- تعالى لنبيه ، وقت أن أحاط به المشركون وهو في الغار.

١- روح المعاني (٥ /٢٣٦)

٢- تفسير المنار (١٣٢/١٠)

و- الحديث عن المنافقين، والكشف عن أصنافهم وأوصافهم، وذكر أحوالهم النفسية والعملية، وفضح مواقفهم في غزوة تبوك وما كان منهم قبلها وبعدها وأثناءها.

ي- تذكير المؤمنين بالعهد الذي بينهم وبين خالقهم، وتبشيرهم برضوان الله ومحبته متى وفوا بعهودهم ، والأمر بصحبة رسول الله- ﷺ-: في جهاده للأعداء، والصبر معه الشدائد والأهوال برغبة ونشاط لأن كل تعب يلحقهم معه مكتوب لهم في سجل حسناتهم ، ثم ختمت السورة بالتذكير بهذه النعمة الكبري والمنة العظمي ، وهي بعثة النبي -ﷺ -، حيث أرسل الله للعالمين رسولا من أنفسهم حريصا على منفعتهم رحيما بهم.[1]

محور السورة الكريمة :

تدور قضايا السورة الكريمة حول محور رئيس وهو " إعلان البراءة من المشركين مع دعوة الناس إلى التوبة والرجوع إلى الله " ، وليس أدل على ذلك من تكرار لفظ التوبة في السورة الكريمة وتسميتها بذلك، جاء في موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم : " ويلاحظ في السورة الكريمة تكرار قوله -تعالى- (فإن يتوبوا يك خيرا لهم) ، وهو محور السورة ، وحكمته التبشير بالتوبة والفلاح بالنجاة من مصارع أهل السوء ".[2]

١- التفسير الوسيط (١٨٥/٦) .

٢- موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم : (١٩١/٣) .

الفرائد القرآنية في سورة التوبة :

ورد في السورة الكريمة أربع فرائد قرآنية لم تذكر في غيرها ، وهي :

الفريدة الأولي : لفظ "جباههم" في قوله –تعالى– (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ).

الفريدة الثانية : لفظ "فثبطهم" في قوله –تعالى– (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ).

الفريدة الثالثة : لفظ " يجمحون" في قوله –تعالى– (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ).

الفريدة الرابعة : لفظ " جرف" في قوله –تعالى– (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

المبحث الرابع
الفرائد القرآنية في سورة التوبة

الفريدة الأولى : لفظ " جباههم "

قال الله –تعالى– : (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ).[1]

سياق الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الوعيد لأولئك الذين يبخلون بأموالهم ولا يؤدون حق الله فيها ، ويأتي الوعيد هنا فى إطار الجزاء من جنس العمل ، حيث يحمي في النار على هذه الأموال المكتنزة التي لم يؤدوا حق الله فيها فتكوى بها جباههم التي كانوا يستقبلون بها الناس، والتي طالما ارتفعت غرورا بالمال المكنوز، وتحرق بها– أيضا– «جنوبهم» التي كثيرا ما انتفخت من شدة الشبع وغيرها جائع، وتحرق بها كذلك «ظهورهم» التي نبذت وراءها حقوق الله بجحود وبطر ، ثم تقول لهم ملائكة العذاب على سبيل التبكيت والتوبيخ، وهي تتولى حرق جباههم وجنوبهم وظهورهم: هذا العذاب الأليم النازل بكم في الآخرة هو جزاء ما كنتم تكنزونه في الدنيا من مال لمنفعة أنفسكم دون أن تؤدوا حق الله فيه ، فذوقوا وحدكم وبال كنزكم ، وتجرعوا غصصه، وتحملوا سوء عاقبته فأنتم الذين جنيتم على أنفسكم، لأنكم لم تشكروا الله على هذه الأموال، بل استعملتموها في غير ما خلقت له وفى هذا جمع بين العذاب المادي بالكي على هذه الأعضاء ، والعذاب المعنوي حيث تبكيت الملائكة لهم وتوبيخهم على تفريطهم .

الدلالة اللغوية لكلمة " جباههم " :

كلمة الجبهة في اللغة هي : المنطقة المستوية ما بين الحاجبين إلى الناصية ، وهي موضع السجود في الإنسان يقول صاحب تهذيب اللغة : " الجبهة: مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية، وجبهت فلانا: إذا استقبلته بكلام فيه غلظة". [2]

وفى لسان العرب : "جبه: الجبهة للإنسان وغيره، والجبهة: موضع السجود، وقيل: هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية. وجبهة الفرس: ما تحت أذنيه وفوق عينيه، وجمعها جباه. والجبه: مصدر الأجبه، وهو العريض

١– سورة التوبة : آية رقم (٣٥)

٢– تهذيب اللغة : الأزهري (٤٣/٦) "جبه" .

الجبهة، وامرأة جبهاء ، قال ابن سيده: رجل أجبه بين الجبه واسع الجبهة حسنها، والاسم الجبه، وقيل: الجبه : شخوص الجبهة ، وفرس أجبه: شاخص الجبهة مرتفعها عن قصبة الأنف، وجبهه جبها: صك جبهته، والجابه: الذي يلقاك بوجهه ، وجبهة القوم: سيدهم، والجبهة من الناس: الجماعة، وجاءتنا جبهة من الناس : جماعة ، وجبه الرجل يجبهه جبها: رده عن حاجته واستقبله بما يكره، وجبهت فلانا إذا استقبلته بكلام فيه غلظة، وجبهته بالمكروه إذا استقبلته به". [١]

وقال صاحب المحيط في اللغة : "الجبهة: مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية ، وجبهت فلانا: استقبلته بكلام فيه غلظة ، ووردنا ماء له جبيهة: وذلك إذا كان ملحا فلم ينضح المال الشرب منه ،وجبهنا الماء جبها: وردناه وليس عليه قامة ولا أداة ، والتجبيه: أن يحمل الزانيان على حمار يقابل بين أقفائهما ، وجاءنا جبهة من الناس: أي جماعة، وقيل: سيدهم ، وكذلك الجماعة من الخيل ، وتأتي بمعني : المذلة أيضا".[٢]

أقوال المفسرين في معنى كلمة "جباههم":

اتجه حديث المفسرين وبيانهم لهذا النص الكريم نحو سبب اختيار هذه المواضع الثلاثة " الجباه والجنوب والظهور " دون غيرها ، وسر ترتيبها على النحو المذكور في الآية الكريمة ، يقول صاحب الكشاف : فإن قلت: لم خصت هذه الأعضاء؟ قلت: لأنهم لم يطلبوا بأموالهم إلا الأغراض الدنيوية، من وجاهة عند الناس، وتقدم، وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم، يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويبجلون ويحتشمون، ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم، كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم، لا يخطر ببالهم قول رسول الله ﷺ «ذهب أهل الدثور بالأجور»[٣] ، وقيل: لأنهم كانوا إذا

١- لسان العرب : (٤٨٣/١٣) "جبه" .

٢- المحيط في اللغة : الصاحب ابن عباد (٢٨٦/١) "جبه" ، طبعة : عالم الكتب-بيروت - الأولى، ١٤١٤ هـ

٣- الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب : الزكاة، باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٨٢/٣) .

أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس زوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم .[1]

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

هذه الفريدة القرآنية تعد من أدق فرائد القرآن وألطفها ، ولربما يتساءل أحدهم ، أما كان يمكن ذكر مفردة أخرى ككلمة " الجبين– الناصية– الوجه " ، والحق أنه بعد طول تأمل وتدبر ندرك أن كلمة "الجبهة" هنا تتضمن جملة من الدلالات والمعاني لا يقوم غيرها مقامها في تجلية هذه المعاني والدلالات، وقد أشرت فيما سبق إلى أنه من الأغراض البيانية العامة التى تقتضي ذكر فريدة بعينها "مناسبة للسياق" ، وهذه الفريدة التى معنا الآن نموذج واضح لهذا الغرض البياني ، فهناك مناسبة تامة لذكر هذه الفريدة " الجباه" بجوار " الجنوب والظهور" ، ولذلك تمحور كلام المفسرين هنا حول ذكر المناسبة بين هذه المواضع الثلاثة من جسد الإنسان (الجباه– الجنوب – الظهور) ، وهذه المناسبة حاصلة من وجوه عدة، أجملها على النحو التالي :

أولها: أن كمال حال بدن الإنسان في جماله وقوته أما الجمال فمحله الوجه، وأعز الأعضاء في الوجه الجبهة، فإذا وقع الكي في الجبهة، فقد زال الجمال بالكلية، وأما القوة فمحلها الظهر والجنبان، فإذا حصل الكي عليهما فقد زالت القوة عن البدن، فالحاصل: أن حصول الكي في هذه الأعضاء الثلاثة يوجب زوال الجمال وزوال القوة، والإنسان إنما طلب المال لحصول الجمال ولحصول القوة ، فكان الجزاء من جنس العمل. ثانيها : اشتراك هذه المواضع الثلاثة في ظهور الإعراض عن السائل وكره العطاء ، وهو ما أشار إليه المفسرون بقولهم : إن الغني الشحيح إذا جاءه السائل "زوى جبهته ثم أعرض عنه بجنبه ثم ولاه ظهره" ، فلما كانت هذه الأعضاء أدوات الإعراض عن السائل جمعها الحق –سبحانه– في سياق واحد ، قال ابن الجوزي[2] –رحمه الله– : " إن الغني إذا رأى الفقير انقبض ، وإذا ضمه وإياه مجلس ، ازورَّ عنه

١– الكشاف : الزمخشري(٢/ ٢٦٨)

٢– هو العلامة عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد، ، له نحو ثلاثمائة مصنف، منها في التفسير (زاد المسير) ، و (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) و(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ، توفي سنة(٥٩٧) . ينظر :طبقات المفسرين : السيوطي(٦١) ، ووفيات الأعيان : ابن خلكان (١٤٠/٣) .

وولاه ظهره ، فكويت تلك المواضع منه[١] ، يقول العلامة الشيخ الشعراوي– رحمه الله– " لماذا خَصَّ الله هذه الأماكن بالعذاب؟ لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها مدخل في عدم إنفاق المال في سبيل الله. كيف؟ مثلاً: تجدون الوجه هو أداة المواجهة، وإذا رأيت إنساناً فقيراً متجهاً إليك ليطلب صدقة، وأنت تعرف أنه فقير وقد جاءك لحاجته الشديدة، فإن كان أول ما تفعله حتى لا تؤدي حق الله أن تشيح بوجهك عنه، أو تعبس ويظهر على وجهك الغضب، فإن هذا الفقير يحس بالمهانة والذلة؛ لأن الغني قد تركه وابتعد عنه، فإذا لم تنفع إشاحة الوجه واستمر الفقير في تقدمه من الغني، فإنه يعرض عنه بأن يدير له جنبه ليحس بعدم الرضا، فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطي له ظهره، إذن: فالجوارح الثلاث قد تشترك في منع الإنفاق في سبيل الله، وهي الجبهة التى أدارها بعيداً، ثم أعطاه جانبه، ثم أعطاه ظهره. هذه هي الجوارح الثلاث التي تشترك في منع حق الله عن الفقير، ولذلك لابد أن تعذب فتكوى الجباه والجنوب والظهور.[٢]

ثالثها : هذه المواضع هي أصول الجهات الأربعة في الإنسان التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه ، فكأن ذكرها مجتمعة يوحي أن هذا البخيل قد أعرض عن السائل بالكلية وبجميع جسده مما يصور حالة الإعراض الشديد والبخل التام ، ولما كان الإعراض على تلك الحال كان الكي على الجهات الأربع، إما من مقدمه فعلى الجبهة، وإما من خلفه فعلى الظهور، وإما من يمينه ويساره فعلى الجنبين ، لأنه أعرض بالكلية فكان الكي بالكلية .

رابعها : هي أعضاء مجوفة فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل، وكان أبو ذر يقول: بشر الكنازين بكي في الجباه، وكي في الجنوب، وكي في الظهور؛ حتى يلتقي الحر في أجوافهم". [٣]

خامسها : هذه المواضع هى مواضع الاستعلاء ومواطن الكبر والخيلاء، أشار إلى هذا المعنى الزمخشري بقوله : " لأنهم لم يطلبوا بأموالهم إلا الأغراض الدنيوية، من وجاهة عند الناس ، وأن يكون ماء وجوههم مصونا عندهم، يتلقون بالجميل، ويحيون بالإكرام، ويبجلون ويحتشمون، ومن أكل الطيبات يتضلعون وينفخون جنوبهم، ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها

١- زاد المسير (٢/٢٥٦)

٢- تفسير الشعراوي : (٨/٥٠٦٩)

٣- زاد المسير (٢/٢٥٦)

على ظهورهم، كما ترى أغنياء زمانك، هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم ، فكان الكي عليها بمثابة القضاء على كل مظاهر العظمة والكبر والخيلاء التى كان يتصف بها هؤلاء في الدنيا". [1]

يقول الإمام الرازي –رحمه الله – : " المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع ينتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم، فلما طلبوا تزين هذه الأعضاء الثلاثة، لا جرم حصل الكي على الجباه والجنوب والظهور"[2].

سادسها : هذه المواضع في الإنسان تمثل خلاصة أعضاء الإنسان من حيث اللطافة والصلابة ، فألطف أعضاء الإنسان جبهته ، والعضو المتوسط في اللطافة والصلابة جنبه، والعضو الذي هو أصلب أعضاء الإنسان ظهره، فبين تعالى أن هذه الأقسام الثلاثة من أعضائه تصير مغمورة في الكي، والغرض منه التنبيه على أن ذلك الكي بحصوله في تلك الأعضاء يحصل في جسد البخيل كله. [3]

الفريدة الثانية : لفظ (فثبطهم)

قال الله –تعالى– : (وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ) [4]

سياق الآية الكريمة : الآية الكريمة في سياق ذم المنافقين ، وذلك ببيان خورهم وجبنهم عن الخروج للجهاد ، فهؤلاء ما توفرت لهم النية الصادقة في الغزو ، لأنهم لو كانوا يريدون الجهاد بصدق لأحسنوا الاستعداد وتأهبوا لذلك بتجهيز العتاد والعدة ، ولكنهم تثاقلوا وتباطؤا عن ذلك ، فكره الله خروجهم ، فثبطهم وأقعدهم عن الخروج ، وجعلهم في زمرة القاعدين من النساء والمعذورين ، يقول العلامة الطبري –رحمه الله– : "وكان تثبيط الله إياهم عن الخروج مع

١– الكشاف : الزمخشري (٢٦٨/٢) .
٢– مفاتيح الغيب : (٣٩/١٦)
٣– : مفاتيح الغيب : الرازي(٣٩/١٦) ، وإرشاد العقل السليم : أبوالسعود (٦٣/٤) .
٤– سورة التوبة : آية رقم (٤٦)

رسول الله –ﷺ– والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للإسلام وأهله ، وأنهم لو خرجوا معهم ضروهم ولم ينفعوا "[١]

الدلالة اللغوية لكلمة " فثبطهم " :

تدور هذه المادة "ثبط" حول التعويق عن الشيء والانصراف عنه والشغل بغيره، ورد في تهذيب اللغة : "ثبطه الله عن الأمر تثبيطا: إذا شغله عنه، وقال الله جل وعز: **(وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ)** ، والتثبيط: ردك الإنسان عن الشيء يفعله، أي: كره الله أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج".[٢]

وفى مجمل اللغة : "ثبط: يقال: ثبطه عن الأمر تثبيطا، إذا شغله عنه، ويقال: أثبطه المرض، إذا لم يكد يفارقه"[٣]، وقال ابن منظور : "ثبط: ثبطه عن الشيء تثبيطا إذا شغله عنه ، وفي التنزيل العزيز: ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ، والتثبيط ردك الإنسان عن الشيء يفعله، أي كره الله أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج، وثبطه عن الشيء ثبطا وثبطه: ريثه وثبته. وثبطه على الأمر فتثبط: وقفه عليه فتوقف، وأثبطه المرض إذا لم يكد يفارقه. وثبطت الرجل ثبطا: حبسته، بالتخفيف ، وهو من التثبيط وهو التعويق والشغل عن المراد".[٤]

وأضاف صاحب القاموس معنى آخر وهو " الحمق والضعف " فالثبط بفتح المثلثة وكسر الباء هو الأحمق ، يقول صاحب القاموس المحيط :" ثبطه عن الأمر: عوقه، وبطأ به عنه، كثبطه فيهما، والثبط، ككتف: الأحمق في عمله، والضعيف، والثقيل ، وقد ثبط، كفرح ، والجمع: أثباط وثباط ، وأثبطه المرض: لم يكد يفارقه".[٥]

أقوال المفسرين في معنى قوله –تعالى – " فثبطهم "

ما ذكره المفسرون في معني هذه الفريدة هو ما ذكره علماء اللغة ، يقول الإمام الطبري : "ولو أراد هؤلاء الخروج معك **(لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ)**، يقول: لأعدوا للخروج عدة، ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما ، **(وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ)** يعني: خروجهم لذلك ، **(فَثَبَّطَهُم)**: فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود

١– جامع البيان : الطبري (٢٧٧/١٤)

٢– تهذيب اللغة : الأزهري (٢١٦/١٣) "ثبط" .

٣– مجمل اللغة : ابن فارس (١٦٦) "ثبط" .

٤– لسان العرب : ابن منظور (٢٦٧/٧) "ثبط" .

٥– القاموس المحيط : الفيروزآبادي (٦٦١) "ثبط" .

في منازلهم خلافك، واستثقلوا السفر والخروج معك، فتركوا لذلك الخروج ، (وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ)، يعني: اقعدوا مع المرضى والضعفاء ".[1] ، ويقول القرطبي–رحمه الله – : "قوله تعالى: (وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً أي لو أرادوا الجهاد لتأهبوا أهبة السفر. فتركهم الاستعداد دليل على إرادتهم التخلف ،(وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ) أي خروجهم معك. (فَثَبَّطَهُم) أي حبسهم عنك وخذلهم، لأنهم قالوا: إن لم يؤذن لنا في الجلوس أفسدنا وحرضنا على المؤمنين، ويدل على هذا أن بعده: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا" .[2]

ويقول ابن كثير–رحمه الله – : " يقول تعالى: ((وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ) أي: معك إلى الغزو (لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً) أي: لكانوا تأهبوا له، ،(وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ) أي: أبغض أن يخرجوا معك قدرا، (فثبطهم) أي: أخرهم".[3]

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

١–الكلمة تصور بدقة بالغ كره الله –تعالى– لخروج هؤلاء المنافقين، حيث ضرب الله عليهم من أسباب التعويق والتثبيط ما حببهم في القعود وبغضهم في الخروج ، فالشاهد أنه لم يكن حبسا عاديا عن الأمر بل كان كما قال البقاعي –رحمه الله– في نظم الدرر " حبسهم عنه حبساً عظيماً" ، يقول – رحمه الله– في نظم الدرر: " فثبطهم: أي حبسهم عنه حبساً عظيماً بأن شغلهم بما حبب إليهم من الشهوات وكره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون غير السيف عقاباً، وهؤلاء قصروا هممهم الدنية على الصفات البهيمية، فلما استولت عليهم الشهوات وملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها: إلى أين تخرجون"[4]؟ .

وفى تفسير المنار : " والتثبيط: التعويق عن الأمر والمنع منه بالتكسيل أو التخذيل، ولم ترد في التنزيل إلا في هذه الآية، والمعنى: كره الله نفرهم وخروجهم مع المؤمنين لما سيذكر من ضرره العائق عما أحبه وقدره من نصره، فثبطهم بما أحدث في قلوبهم من الخواطر والمخاوف التي هي مقتضى

١– جامع البيان : الطبري (٢٧٦/١٤)
٢– الجامع لأحكام القرآن : القرطبي(١٥٦/٨)
٣– تفسير القرآن العظيم : ابن كثير (١٥٩/٤)
٤– نظم الدرر : البقاعي (٨–٤٩٠)

سنته في تأثير النفاق، فلم يعدوا للخروج عدته لأنهم لم يريدوه، وإنما أرادوا بالاستئذان ستر ما عزموا عليه من العصيان. [١]

ويقول الشعراوي –رحمه الله – : "وكراهية الله لنزوعهم تجلت في تثبيطهم وردهم عن الفعل، وأنه –تعالى– زيَّن لهم في نفوسهم ألا يخرجوا للقتال مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–". [٢]

٢- ومن اللطائف المهمة في سر التعبير بهذه الفريدة أن هذا التعويق ظل ملازما لهم من أول الأمر إلى آخره ، وربما لو ذكرت كلمة اخرى لفُهم أنهم كسلوا عن الخروج أول الأمر ثم نهضوا بعد ذلك ، وهذا غير حاصل لأنه يفهم من هذه الفريدة " ملازمة القعود والكسل" ، وهذا ما دل عليه أحد المعاني اللغوية لهذه الفريدة ، فكلمة ثبط تفيد أن الكسل والقعود لا يفارقهم بل كان ملازما لهم إذ يقال عند العرب : ثبطه المرض إذا لازمه ولم يفارقه ، فكأن حالة الكسل والقعود لازمتهم ولم تفارقهم منذ لحظة النداء والدعوة للنفير حتي الخروج ولقاء العدو .

٣- كلمة "ثبط" تفيد أنهم بفعلهم هذا تأخروا عن ركب السابقين وهذا يستفاد من معنى التأخر الوارد في أحد دلالات الكلمة اللغوية .

٤- كلمة "ثبط" – أيضا– تصور كذلك تثاقلهم وكسلهم في طلب الجهاد والخروج ، يقول الزمخشري –رحمه الله– في أساس البلاغة : " يقال : غلام ثبط وجارية ثبطة: فيهما كسل وثقل، وفرس ثبط: ثقيل" ".[٣]

وهذا شأن المنافقين ، فقد صرفهم الله عن هذا الأمر بشؤم كسلهم ، ذلك لأنهم ما أخذوا الأمر على محمل الجد وما توفرت فيهم النية الخاصة وحسن الاستعداد للقيام بواجب الجهاد ، فكان صرف الله لهم جزاء وفاقا ، فالله يحب من عباده أن يحسنوا الاستعداد لتلقي التكاليف ويجتهدوا في القيام بها دون تباطؤ أو تلكؤ، وهو –سبحانه– غني عن أولئك المتثاقلين الراكنين ؛ ولذلك فهو يكره انبعاثهم ولا يراهم أهلا لاستحقاق شرف العمل لدين الله ورفع لوائه؛ ولذلك نرى الفرق شاسعا بين أولئك المتباطئين وبين هؤلاء الذين أتوا لرسول الله يرغبون في الخروج معه لكنهم لا يجدون نفقة خروجهم ، هؤلاء قبل الله عذرهم

١- تفسير المنار : (٤٠٧/١٠)

٢- تفسير الشعراوي : (٥١٥٩/٩)

٣- أساس البلاغة : الزمخشري (١٠٤/١) " ث ب ط" .

وعفا عنهم وأثبت أجرهم لتوفر نواياهم الخالصة ، بخلاف أولئك فقد كره الله خروجهم ؛ ولذا صرفهم عن الخروج بأن ثبطهم وشغلهم فهو الغني عنهم .

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله – " من الحكمة أنه – سبحانه – ثبط عزيمتهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والخروج معكم. لأن الذاهب إلى القتال لا يمكن أن يستعد في آخر لحظة، بل لا بد أن يشغل نفسه بمقدمات الحرب من سلاح وزاد وراحلة وغير ذلك، ولو لم يشغل نفسه بهذه المسائل قبل الخروج بفترة وتأكد من صلاحية سلاحه للقتال؛ ووجود الطعام الذي سيحمله معه؛ وغير ذلك، لما استطاع أن يخرج مقاتلا. فليست المسألة بنت اللحظة، بل كان عدم استعدادهم للقتال يعد كشفا للخميرة المبيتة في أعماقهم بألا يخرجوا، وقد اطلع الله على نواياهم، وما تخفى صدورهم، وقد جازاهم بما أخفوا في أنفسهم ؛ لذلك يقول : (وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ) وسبحانه وتعالى لا يحتاج إلى أحد من خلقه، بل الخلق هم الذين في احتياج دائم إليه سبحانه؛ لذلك ثبط هؤلاء عن الخروج، وكره سبحانه خروجهم للقتال، و"ثبطهم" : أي جعلهم في مكانهم، ولم يقبل منهم أن يعدوا العدة للقتال كراهية منه سبحانه أن يخرجوا بنشاط إلى القتال .[1]

٦- كذلك هناك مناسبة بين كلمة " فثبطهم " وكلمة انبعاثهم ، فالانبعاث هو النهوض للقيام بالفعل في خفة وهمة ونشاط ، بينما التثبيط ضد ذلك لأنه يعني ترك الفعل لكسل أو ثقل ، فالانبعاث حركة فيها همة ونشاط بخلاف التثبيط فهو قعود وتكاسل وتراخي ، يقول الشيخ طنطاوي –رحمه الله – : انْبِعاثَهُمْ أى: نهوضهم وانطلاقهم للخروج بنشاط وهمة ، من البعث وهو إثارة الإنسان أو الحيوان وتوجيهه إلى الشيء بقوة وخفة، تقول: بعثت البعير فانبعث إذا أثرته للقيام والسير بسرعة ، أما قوله: فثبطهم أى: فمنعهم وحبسهم، من التثبيط وهو : رد الإنسان عن الفعل عن طريق تعويقه عنه ومنعه منه، يقال: ثبطه تثبيطا، أى: قعد به عن الأمر الذي يريده ومنعه منه بالتخذيل ونحوه" .[2]

٧- في التعبير بهذه الكلمة ما يفيد ضعفهم وحمقهم كما ذكر علماء اللغة في أحد معاني هذه المادة ، ومنهم صاحب القاموس المحيط حيث قال –

١- تفسير الشعراوي : (٣٨٨١/٧)
٢- التفسير الوسيط : (٣٠٧/٦)

رحمه الله- – والثبط ككتف : الأحمق في عمله، والضعيف "[1] ، ومن كان هذا حاله فلا يكون أهلا للجهاد ، إذ يلزم في جهاد الأعداء القوة والحكمة ، وهؤلاء ليسوا كذلك ، فكأن هذه الكلمة أفادت بعض حيثيات صرف الله لهم عن اللحاق بركب المجاهدين الصادقين ، ولذا جاء التعبير بقوله فثبطهم المفيد للضعف مناسبا كذلك لقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين ، فالمقصود بالقاعدين الضعفة من الرجال ، وكذلك جاء التعبير بكلمة فثبطهم المفيد للحمق مناسبا لقوله " لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا " والخبال هو الاضطراب الناشيء من الحمق وضعف الرأي .

الفريدة الثالثة : لفظ "يجمحون"

يقول الله –تعالى- (لَو يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ)[2]

سياق الآية الكريمة :

هذه الآية الكريمة تأتي في سياق تصوير حال المنافقين وبيان ما كانوا عليه من كره شديد للمؤمنين ، فقد أبانت الآية الكريمة رغبة المنافقين في الهرب من المؤمنين وعدم مشاركتهم في الجهاد ، فهم يتمنون أن لو وجدوا ملجأ أو مغارات أو مدخلا يهربون إليها بعيدا عنكم يختبئون فيها مسرعين شاردين لا يلتفتون إلى داع أو مجيب ، وفى الآية مبالغة في إظهار كرههم وشدة غيظهم من المؤمنين وبيان أن صحبتهم لهم صحبة اضطرار لا اختيار ، وصحبة كره وغيظ لا حب ومودة .

الدلالة اللغوية لكلمة " يجمحون " :

ورد في تهذيب اللغة : "جمح الفرس بصاحبه جماحا : إذا جرى به جريا غالبا، وكل شيء إذا مضى لوجهه على أمر فقد جمح به ، وفرس جموح وجامح، الذكر والأنثى في النعتين سواء، وجمحت السفينة فهي تجمح ، إذا

١- القاموس المحيط : (٦٦١)

٢- سورة التوبة : آية رقم (٥٧)

تركت قصدها فلم يضبطها الملاحون"[١]، وقال الفراء في قول الله جل وعز: (لولوا إليه وهم يجمحون) أي : "ولوا إليه مسرعين"[٢].

وقال الزجاج: "وهم يجمحون، قال: يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا قيل: فرس جموح وهو: الذي إذا حمل لم يرده اللجام "[٣].

وقال ابن منظور في لسان العرب : "جمح: جمحت المرأة تجمح جماحا من زوجها: خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها، ومثله طمحت طماحا ، وفرس جموح : إذا لم يثن رأسه ، وجمح الفرس بصاحبه جمحا وجماحا: ذهب يجري جريا غالبا واعتز فارسه وغلبه، وفرس جامح وجموح، الذكر والأنثى في جموح سواء؛ وجمح إليه أي أسرع. وقوله تعالى: لولوا إليه وهم يجمحون : ؛ أي يسرعون. [٤]

أقوال المفسرين في معنى كلمة " يجمحون " :

ذكر المفسرون في معنى كلمة " يجمحون" ما ذكره أهل اللغة ، قال البغوي –رحمه الله– : "لولوا إليه، لأدبروا إليه هربا منكم، وهم يجمحون، يسرعون في إباء ونفور ولا يرد وجوههم شيء ، ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصا منكم ومهربا لفارقوكم[٥] .

وقال صاحب الكشاف : "يجمحون يسرعون إسراعا لا يردهم شيء، من الفرس الجموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام". [٦]

وذكر الرازي في مفاتيح الغيب : " وقوله: وهم يجمحون أي يسرعون إسراعا لا يرد وجوههم شيء، ومن هذا يقال: جمح الفرس وهو فرس جموح، وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام، والمراد من الآية أنهم من شدة تأذيهم من الرسول ومن المسلمين صاروا بهذه الحالة" [٧].

---

١ – تهذيب اللغة : الأزهري (١٠٠/٤) "جمح"
٢ – معاني القرآن : الفراء (٤٤٣/١) .
٣– معاني القرآن وإعرابه : الزجاج (٤٥٥/٢) .
٤– لسان العرب : ابن منظور (٤٢٧/٢) "جمح" .
٥– معالم التنزيل : البغوي (٣٥٨/٢)
٦– الكشاف : الزمخشري(٢٨١/٢)
٧– مفاتيح الغيب : الرازي (٧٥/١٦)

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

١- في هذه الفريدة تصوير معجز لما كان عليه أولئك المنافقون من بغض دفين للمؤمنين ، ومن خوف شديد من اشتراكهم مع المؤمنين فى الجهاد في سبيل الله ، حتى إنهم لو وجدوا شيئا من هذه الأمكنة- التي هي منفور منها- لأسرعوا نحوها إسراعا شديدا ، لا يردهم أحد عن فرارهم ونفورهم .

ويبدع القرآن الكريم في المبالغة في تصوير حالهم هذه بأن فراراهم هذا لم يكن إلى أماكن آمنة مستقرة ، بل هي يسرعون ويهربون إلى أماكن كلها خطرة موحشة ومع ذلك يودون الذهاب إليها مسرعين شاردين هربا منكم وكرها لكم وخوفا من الجهاد معكم لا يردهم عن ذلك راد، ولا يزجرهم زاجر ، كما هو الحال في الخيل التى شردت وندت هاربة من صاحبها ، وهو ما يؤكد أن غايتهم البعد عن المؤمنين والهرب منهم حتى لو كان الهرب إلى أضيق الأماكن وأوحشها وأشدها خطرا ، والآية بهذا التركيب صورت بدقة متناهية كره المنافقين للمؤمنين وفرقهم من الجهاد عن طريق المبالغة بذكر الإسراع في الهرب دون استجابة لأحد إلى هذه الأماكن الموحشة .

أشار إلى ذلك الإمام الخازن[١] بقوله : " والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة ، أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة ، وهي شر الأمكنة وأضيقها، لولوا إليه أي لرجعوا إليه وتحرزوا فيه ، وهم يجمحون يعني : وهم يسرعون إلى ذلك المكان ، والمعنى أن المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله -ﷺ- والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشدة بغضهم إياكم"[٢]، يقول العلامة ابن كثير -رحمه الله - :"(لولوا إليه وهم يجمحون) ، أي : يسرعون في ذهابهم عنكم ، لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة ، وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛

١- علي بن محمد بن إبراهيم علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. بغدادي الأصل، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، له تصانيف، منها " لباب التأويل في معاني التنزيل " في التفسير، يعرف بتفسير الخازن و" عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام " في فروع الشافعية، و " مقبول المنقول في الحديث ،وتوفى سنة (٧٤١هـ) . ينظر : طبقات المفسرين : الداوودى (٤٢٢/١).

٢-لباب التأويل في معاني التنزيل : الخازن(٣٧١/٢) ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت- الأولى، ١٤١٥ هـ.

لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة ؛ فلهذا كلما سُر المؤمنون ساءهم ذلك ، فهم يودون ألا يخالطوا المؤمنين". [1]

٢- وهذه الفريدة تسجل عليهم عصيانهم لمن يدعونهم إلى النجاة والخير ، وتنعى عليهم بعدهم عن طريق الاستقامة كما هو مستفاد من أحد المعاني اللغوية لكلمة "جمح" ، فإنه من معانيها : عصيان الفرس لصاحبها ، فهم في سيرهم هذا عصاة مجرمون بعيدون عن طريق الحق ، وهذا غالب استعمال كلمة الجموح ، فهي تستعمل غالبا في معنى النفور والبعد عن طريق الاستقامة .

٣-ومن أسرار التعبير بهذه الفريدة -أيضا- الإشارة إلى ضلالهم وغيهم ، وأنهم يسرعون في الطريق الخطأ ، وهم يسيرون لا محالة إلى ما فيه هلاكهم ، وهم يظنون في سيرهم النجاة ويطلبون الأمن ، وهذا المعني مستفاد كذلك من أحد المعاني التى وردت لها كلمة " جمح "، فقد ورد من معاني الجموح : ترك السفينة قصدها وضلالها الطريق فما عاد يضبطها الملاحون ، وهؤلاء حالهم حال من قال فيهم رسول الله -ﷺ- (إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقحمون فيها). [2]

الفريدة الرابعة : لفظ "جرف"

يقول الله -تعالى- (**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**). [3]

سياق الآية الكريمة :

هذه الآيات نزلت فى بيان مكيدة من مكايد المنافقين لرسول الله -ﷺ- وللمؤمنين، وقد روى فى سبب نزول الآيات: "أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء ، وبعثوا إلى رسول الله - ﷺ - أن يأتيهم، فأتاهم فصلى فيه، فحسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف، وقالوا: نبني مسجدا ونرسل

١- تفسير ابن كثير (١٦٣/٤)

٢- رواه البخاري في صحيحه : كتاب : الرقاق ، باب: الانتهاء عن المعاصي (٢٣٧٩/٥).

٣- سورة التوبة : آية رقم (١٠٩)

إلى رسول الله – ﷺ – ليصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا، وليصل فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام، وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح، وأنكر دين الحنيفية ، وقد كان شديد الكره للإسلام والمسلمين ، ولما قدم رسول الله – ﷺ – المدينة عاداه ، وقد سماه النبي – عليه الصلاة والسلام–: أبا عامر الفاسق، وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجدا فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند الروم، فأخرج محمدا وأصحابه، فبنوا له مسجدا إلى جنب مسجد قباء، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا ، ولما فرغوا منه أتوا رسول الله – ﷺ – فقالوا: إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فدعا بقميصه ليلبسه فيأتيهم، فنزل عليه القرآن وأخبره الله – عز وجل – خبر مسجد الضرار وأنه بني مكيدة للإسلام والمسلمين ، ونهاه الله –تعالى– عن الصلاة فيه ، فدعا رسول الله – ﷺ – مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا قاتل حمزة، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فهدموه وأحرقوه. [١]

الدلالة اللغوية لكلمة " جرف "

ورد في مقاييس اللغة : "(جرف) الجيم والراء والفاء أصل واحد، هو أخذ الشيء كله هبشا ، يقال: جرفت الشيء جرفا، إذا ذهبت به كله ، وسيف جراف يذهب كل شيء، والجرف : المكان يأكله السيل، وجرف الدهر ماله: اجتاحه، ومن الباب: الجرفة: أن تقطع من فخذ البعير جلدة وتجمع على فخذه"[٢]

وقال صاحب مختار الصحاح : "ج ر ف: (جرف الطين) كسحه وبابه نصر، ومنه سمي (المجرفة) ، و (الجرف) بضم الراء وسكونها : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض، ومنه قوله تعالى: (على شفا جرف هار) ، وقد (جرفته السيول تجريفا) و(تجرفته).[٣]

وفي لسان العرب :"جرف: الجَرْفُ: اجترافك الشيء عن وجه الأرض ، والجرف: الأخذ الكثير ، جرف الشيء يجرفه، بالضم، جرفا واجترفه: أخذه أخذا كثيرا، والمجرف والمجرفة: ما جرف به، وجرفت الشيء أجرفه، بالضم،

١– أسباب النزول : الواحدي (٢٥٩) ، طبعة : دار الإصلاح – الدمام–الثانية، ١٤١٢ هـ

٢– مقاييس اللغة : ابن فارس (٤٤٤/١) "جرف" .

٣– – مختار الصحاح : الرازي (٥٦)

جرفا أي ذهبت به كله أو جله، وجرفت الطين: كسحته، ومنه سمي المجرفة، وبنان مجرف: كثير الأخذ من الطعام، وجرف السيل الوادي يجرفه جرفا ، والجرف : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض، وقد جرفته السيول تجريفا وتجرفته ؛ والجرف : ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر، والجمع أجراف وجروف وجرفة، فإن لم يكن من شقه فهو شط وشاطئ ، وسيل جراف وجاروف: يجرف ما مر به من كثرته يذهب بكل شيء، وغيث جارف كذلك ، وفي التنزيل العزيز(أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) ، وأجرفت الأرض: أصابها سيل جراف" .[1]

وفي القاموس المحيط : "جرفه جرفا وجرفة، بفتحهما: ذهب به كله، أو أخذه أخذا كثيرا، والطين: كسحه، كجرفه وتجرفه، والمجرفة، كمكنسة: المكسحة والجارف: الموت العام ، والطاعون، وشؤم أو بلية تجترف القوم".[2]

أقوال المفسرين في معنى كلمة " جرف " :

قال الإمام الرازي : "والجرف هو : ما إذا سال السيل وانحرف الوادي ويبقى على طرف السيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة ، فذلك الشيء هو الجرف ، والمعنى : أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير، أمن أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار من أودية جهنم فلكونه شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط، ولكونه على طرف جهنم، كان إذا انهار فإنما ينهار في قعر جهنم، ولا نرى في العالم مثالا أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال، وحاصل الكلام أن أحد البناءين قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه، والبناء الثاني قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر، فكان البناء الأول شريفا واجب الإبقاء، وكان الثاني خسيسا واجب الهدم.[3]

وذكر الزمخشري : "والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء، وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل

١- لسان العرب : (٢٥/٩) "جرف" .

٢- القاموس المحيط : الفيروزآبادي (٧٩٦) "جرف".

٣- مفاتيح الغيب (١٤٩/١٦)

شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك، وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى"[١]

وفي النكت والعيون :" وهذا مثل ضربه الله تعالى لمسجد الضرار، ويحتمل المقصود بضرب هذا المثل وجهين: أحدهما: أنه لم يبق بناؤهم الذي أسس على غير طاعة الله حتى سقط كما يسقط ما بني على حرف الوادي، الثاني: أنه لم يخف ما أسروه من بنائه حتى ظهر كما يظهر فساد ما بنى على حرف الوادي بالسقوط".[٢]

أسرار التعبير بهذه الفريدة :

أولا : أفادت هذه الكلمة بدقة متناهية ضعف هذا البنيان ؛ لأنه لا أصل له ، فقد بني على أوهى القواعد وأقلها بقاء وتماسكا ، فالجرف في أصل معناه لا يستند على شيء لأن السيل جرف ما تحته ، ولذا فهو ساقط لا محالة ، وسيكون سقوطه مدويا سريعا، ولن يلبث في مكانه إلا وقتا قصيرا ، إنه بناء لم يؤسس على قاعدة صلبة محكمة ، بل تم تأسيسه على قاعدة هشة مضطربة لا تتحمل البناء ولا تقوى على التشييد ، وهذا مثله كمثل إيمان هؤلاء المنافقين ، إنه إيمان لا أصل له ، لم يؤسس على قواعد محكمة ، وكذلك هو إيمان مظهري، يخيل للناس أن أهله مؤمنون صادقون ، لكنهم في واقع الأمر منافقون ، ولا وجود لهذا الإيمان ، إنه إيمان سرعان ما ينهار بصاحبه عند التعرض لشدة أو بلية ، فكلمة "جرف" أفادت جملة من المعاني ، منها : أن هذا البناء لا أصل له ، وأنه غير محكم ، وأنه ساقط لا محالة لضعفه وخوره ، وأنه سينهار سريعا ولن يدوم طويلا وفيه إشارة لكشف أمر نفاقهم .

وقد أشار العلامة البيضاوي– رحمه الله – إلى هذا المعني بقوله : " أفمن أسس بنيانه ، أي : بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها ، فانهار به في نار جهنم ، وأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى السقوط في النار، وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس، ثم رشحه بانهياره به في النار

١– الكشاف (٣١٢/٢)

٢– النكت والعيون :(٤٠٤/٢)

ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله إلى رضوان الله ومقتضياته ، وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة"[1]، ويقول القرطبي–رحمه الله– : " جرف : يعني ليس له أصل ، وهذه الآية ضرب مثل لهم، أي من أسس بنيانه على الإسلام خير أم من أسس بنيانه على الشرك والنفاق. وبين أن بناء الكافر كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها ". [2]

ويقول صاحب تفسير المنار : " المراد بالمثل هنا : بيان ثبات الحق الذي هو دين الإسلام وقوته ودوامه، وسعادة أهله به، وذكره بأثره وثمرته في عمل أهله، وجماعها التقوى، وبجزائهم عليه وأعلاه رضوان الله تعالى، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله، ووهيه وقرب زواله، وخيبة صاحبه وسرعة انقطاع آماله، وشر أهله المنافقين. وشر أعمالهم ما اتخذوه من مسجد الضرار للمفاسد الأربعة المبينة في الآية الأولى من هذا السياق ، وقد ذكر في وصف بنيان الفريق الأول وهم المؤمنون المشبه دون المشبه به لأنه المقصود بالذات ، ولم يذكر فيما قبله من عملهم إلا المبالغة في الطهارة، وذكر من وصف بنيان الفريق الثاني الهيئة المشبه بها دون المشبه ؛ لأنه ذكر فيما قبل مقاصدهم منها كلها، وهذا من دقائق إيجاز القرآن ، تقول في المعنى الجامع بين المشبه به في الفريقين: أفمن أسس بنيانه الذي يتخذه مأوى وموئلا له، يقيه من فواعل الجو وعدوان كل حي، وموطنا لراحته، وهناء معيشته، على أمتن أساس وأثبته، وأقواه على مصابرة العواصف والسيول، وصد الهوام والوحوش – هو خير بنيانا، وراحة وأمانا، أم من أسس بنيانه على أوهى القواعد وأقلها بقاء واستمساكا فهي عرضة للانهيار في كل لحظة من ليل أو نهار؟ وأما معنى المشبه المقصود بالذات في كل منهما فيصور هكذا: أفمن كان مؤمنا صادقا يتقي الله في جميع أحواله، ويبتغي رضوانه في أعماله بتزكية نفسه بها أم من هو منافق مرتاب، مراء كذاب، يبتغي بأفضل مظاهر أعماله الضرر والضرار، وتقوية أعمال الكفر وموالاة الكفار، وتفريق جماعة المؤمنين الأخيار، والإرصاد لمساعدة من حارب الله ورسوله من الأشرار، وما يكون من عاقبة ذلك في الدنيا من الفضيحة والعار، والخزي والبوار، وفي الآخرة من الانهيار

١– أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي (٩٨/٣)
٢– الجامع لأحكام القرآن : القرطبي (٢٦٥/٨)

في نار جهنم وبئس القرار، وخلاصة المثلين أن الإيمان الصادق، وما يلزمه من العمل الصالح هو المثمر الثابت، وأن النفاق وما يستلزمه من العمل الفاسد هو الباطل الزاهق، وهذا المعنى يوافق قول علماء الكون: إنه لا يتنازع شيئان في الوجود إلا ويكون الغالب هو الأصلح منهما، ويسمون هذه السنة (ناموس الانتخاب الطبيعي وبقاء الأمثل) ".[١]

وذكر بعض أهل العلم أنه تمثيل لمسجد الضرار الذي بناه المنافقون ، فهو بناء أسس علي النفاق والمراوغة والكذب والخداع ، فهو بناء لا أصل له كإيمانهم تماما ، يقول الخطيب الشربيني–رحمه الله– : " وهذا تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير أي: الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثاني مثال مسجد الضرار ، قال الرازي: ولا نرى في العالم مثالا أحسن مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال ، وحاصل الكلام إن أحد البناءين قصد بانيه ببنائه تقوى الله تعالى ورضوانه والبناء الثاني قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر فكان البناء الأول شريفا واجب الإبقاء وكان الثاني خسيسا واجب الهدم. [٢]

ثانيا : من أسرار التعبير بهذه الفريدة وجود مناسبة بين هذه الكلمات الثلاثة

(شفا– جرف – هار) إذ هي تصور بدقة مدي هشاشة هذا البنيان وتهاويه ، فهو بناء علي حرف واد متصدع ، وكأني بكل كلمة تضيف معنى في تصوير ذلك ، مبالغة في ضعف هذا البناء ، ولو أن هذا البناء وصف بواحدة منها فقط لكان هذا كافيا في تصوير سقوطه ، فما بالنا والحالة هذه حيث الوصف بهذه الثلاثة ، وهذا ما أشار إليه الشيخ الشعراوي بقوله : " إن الحق يوضح لنا المقارنة بين الذي يؤسس بنيان حياته على تقوى من الله ابتغاء الخير والجنة، وهو الذي جاءته هداية الدلالة فاتبعها، فجاءته هداية المعونة من الله ، وبين ذلك الذي يؤسس بنيان حياته على حرف واد متصدع آيل للسقوط فسقط به البنيان في نار جهنم، إنه الذي جاءته هداية الدلالة

١– تفسير المنار : (٣٠/١١)

٢– السراج المنير: الخطيب الشربيني (٦٥١/١) ، طبعة : مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة– الأولى ١٢٨٥ هـ

فتجاهلها، فلم تصله هداية المعونة، ذلك هو الظالم المنافق الذي يريد السوء بالمؤمنين .[1]

١- تفسير الشعراوي : (٩١٢/٢)

الخاتمة

كان القرآن الكريم ولا يزال مظهر البلاغة وأساس الفصاحة وآية الإعجاز ، حوى من الدرر والكنوز والأسرار ما يعجز عن تسطيره العلماء ، وتتقاصر عن بيانه عبارات البلغاء ، وقد كانت هذه الرحلة المباركة في رحاب القرآن محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على جانب من هذا البيان البلاغي البديع لكتاب ربنا –عز وجل – ، وقد يسر الله –تعالى – الوقوف على بعض النتائج والتوصيات بعد إتمام هذا البحث، أسردها على النحو التالي:

أولا : نتائج البحث

١- الفرائد القرآنية هي: تلك الألفاظ التى ذكرت مرة واحدة في القرآن ، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور ، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها.

٢- الفرائد القرآنية ألفاظ اكتسبت صفة الفردية، لكونها ألفاظا قرآنية انتظمت في سلك النظم القرآني ، وكذلك لكونها تعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقا قويا ، بحيث لا يغني غيرها غنائها في موضعها ، ثم إنها اكتسبت صفة أخرى أكثر تخصيصا وتقييدا ، وهي كونها فذة متفردة لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة .

٣-كل فريدة من فرائد القرآن قد وضعت في موضع سديد ، ومكان رشيد، ولو حاولنا أن نضع مكانها لفظة أخرى لاختل النظم وفات الغرض المقصود من الكلام.

٤- الفرائد القرآنية تمثل وجها من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، المتعلق بدقة النظم القرآني في استخدام ألفاظه ومفرداته ، على نحو يؤكد إعجاز القرآن وجودة سبكه وبديع إحكامه .

٥- عُني كثير من علمائنا – قديما وحديثا– بدراسة الفرائد القرآنية والبحث في أسرار التعبير بها ، ومن أشهر علمائنا القدامي الذين اهتموا بدراسة الفرائد الإمام ابن أبي الأصبع وابن حجة الحموي والإمام السيوطي ، ومن أشهر علمائنا المعاصرين الذين أشاروا إلى بعض أسرار التعبير بهذه الفرائد العلامة محمد رشيد رضا، وعائشة بنت الشاطئ، ومصطفى صادة الرافعي ، والطاهر بن عاشور ، والإمام الشعراوي ، والدكتور محمد سيد طنطاوي ، وغيرهم .

٦- أكدت هذه الدراسة على بطلان القول بالترادف بين ألفاظ القرآن ، بمعني التطابق التام بين الألفاظ من حيث المعنى والدلالة ، فقد تبين لي أن هذه الفرائد لا يمكن بحال أن يسد غيرها مسدها أو يحل مكانها .

٧- الوقوف على الأسرار البيانية للفرائد القرآنية يرتبط ارتباطا وثيقا بعدة أمور ، من أهمها : معرفة السياق الذي وردت فيه هذه اللفظة ، وكذا الوقوف على المعاني والدلالات اللغوية لهذه الفرائد .

٨- ظهر لي من خلال هذه الدراسة الارتباط الوثيق بين المعنيين "اللغوي والتفسيري" لهذه الفرائد ، بل إنه في مواضع كثيرة تطابق المعنيان ولم يكن ثمة اختلاف بينهما .

٩- من أبرز الأسرار البيانية في التعبير بالفرائد القرآنية : (اتساع الدلالة – إفادة معنى لطيف دقيق – مناسبة السياق – الاختصار والإيجاز – مراعاة الفواصل – تصوير المعني – التفرد بوجه بلاغي – التناغم الصوتي) .

١٠- الفرائد القرآنية الواردة في سورة الأنفال أربع فرائد، هي: "الشوكة" ،"زحفا" "متحيزا"، "فشرد بهم" .

١١- الفرائد القرآنية الواردة في سورة التوبة أربع فرائد، هي : "جباههم" ، " فتبطهم"، " يجمحون"، "جرف" .

١٢- كل فريدة من هذه الفرائد فيها من الأسرار البيانية واللطائف البلاغية ما يؤكد على دقة النظم القرآني في اختيار ألفاظه ومفرداته التى تلائم السياق وتبرز المعني المقصود في أوجز عبارة .

ثانيا : التوصيات :

يرى الباحث أن هذا الحقل الثري من حقول الدراسات القرآنية لا زال بحاجة إلى مزيد من البحث والدرس ، ولذا فإني أقترح بعض الدراسات المتعلقة بالفرائد القرآنية ..

(أ) دراسة الأسرار البيانية للفرائد القرآنية دراسة مستقلة ، مع التطبيق على ما ورد من فرائد في سور القرآن الكريم ، وقد يسر الله –تعالى– للباحث ذكر بعض هذه الأسرار في التمهيد .

(٢) استكمال الجهود المباركة التي بذلت في هذا الجانب ، وذلك بدراسة الفرائد على مستوى كل سورة من سور القرآن مع ضرورة الجمع في هذه الدراسات بين النواحي الدلالية والتفسيرية والبيانية .

المراجـــع

١. الإتقان في علوم القرآن:السيوطي ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة – الأولى ١٣٩٤هـ.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود ،طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت – الثانية ١٤١١هـ.
٣. أساس البلاغة : الزمخشري ، طبعة : دار الكتب العلمية ، –بيروت– الأولى ١٤١٩هـ.
٤. الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية : د/عبدالله عبدالغني سرحان ، طبعة :دار الحضارة–الرياض– الأولى ١٤٣٣هـ.
٥. الأسرار البيانية في الفرائد القرآنية "سورة النساء نموذجا " : د/ رضا محمد عبدالنبي ، بحث علمي منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٢٠٢٢/١٤٤٣
٦. الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق:د/عائشة بنت الشاطيء، طبعة : دار المعارف ،الطبعة: الثالثة ٢٠٠٤م.
٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : الرافعي ، طبعة : دار الكتاب العربي– بيروت – الثامنة١٤٢٥هـ.
٨. الأعلام : الزركلي ، طبعة دار العلم – بيروت – السابعة١٩٨٦م.
٩. أفراد كلمات القرآن العزيز : ابن فارس ، طبعة : دار البشائر– دمشق– الأولى ١٤٢٣هـ.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي ، طبعة : دار إحياء التراث العربي– بيروت ، الأولى ١٤١٨.
١١. البحر المحيط : أبوحيان ، طبعة: دار الفكر – بيروت – الأولى ١٤٢٠.
١٢. البحر المديد : ابن عجيبة . طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤٢٣هـ.
١٣. بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم : د/ كمال عبدالعزيز إبراهيم ، طبعة : الدار الثقافية للنشر– القاهرة – الأولى ٢٠١٠م
١٤. بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ: د/ فتحي أحمد عامر ، طبعة : منشأة المعارف – الاسكندرية – الأولى ١٩٨٣م.
١٥. البلاغة القرآنية فى نكت الرماني : د/ عبدالقادر الحمداني ، طبعة: دار غيداء – عمان – الأولي ٢٠١٤م.
١٦. بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : السيوطى، طبعة : المكتبة العصرية – بيروت – الأولى ١٤١٩.
١٧. البيان في عد آي القرآن : أبوعمرو الداني ، طبعة : مركز المخطوطات والتراث – الكويت–الأولى١٤١٤هـ.
١٨. البيان والتبيين : الجاحظ ، طبعة : دار ومكتبة الهلال– بيروت– الأولي ١٤٢٣. هـ
١٩. تاج العروس :الزبيدي ، طبعة :دار الهداية –الكويت – الأولى ١٩٦٥م.

٢٠. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الأصبع ، طبعة : الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، بدون .
٢١. التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور طبعة : الدار التونسية للنشر –تونس – الأولى ١٩٨٤م .
٢٢. التفسير البياني للقرآن الكريم : د/ عائشة بنت الشاطيء ، دار المعارف – القاهرة– الطبعة : السابعة ١٩٦٨م .
٢٣. تفسير القرآن العظيم : ابن كتير ، طبعة : دار طيبة – الرياض ، الثانية ١٤٢٠هـ.
٢٤. التفسير القرآني للقرآن : الشيخ عبدالكريم الخطيب ، طبعة : دار الفكر العربي – القاهرة– بدون.
٢٥. التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي ، طبعة : دار نهضة مصر – القاهرة – الأولى ١٩٩٨.
٢٦. تقريب التهذيب : ابن حجر، طبعة : دار الرشيد – سوريا –الأولى ١٤٠٦.
٢٧. تهذيب اللغة : الأزهري ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت– الأولى٢٠٠١م.
٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري . طبعة : دار هجر – القاهرة– ، الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٩. الجامع الصحيح : البخاري ، طبعة: دار ابن كثير– دمشق – الخامسة ١٤١٤هـ.
٣٠. الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، طبعة : دار الكتب المصرية –القاهرة ، الثانية ١٣٨٤هـ.
٣١. جواهر البلاغة : الهاشمي ، طبعة : المكتبة العصرية–بيروت– بدون .
٣٢. خصائص التعبير القرآني : د/ عبدالعظيم المطعني ، طبعة : مكتبة وهبة –القاهرة ، الأولى ١٤١٣.
٣٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر ، طبعة : دائرة المعارف –الهند ، الثانية ١٣٩٢.
٣٤. سر الفصاحة : الخفاجي ، طبعة : دار الكتب العلمية –بيروت– الأولى ١٤٠٢هـ
٣٥. سير أعلام النبلاء : الذهبي ، طبعة : مؤسسة الرسالة –بيروت – الثالثة ١٤٠٥هـ.
٣٦. السيرة النبوية : ابن هشام، طبعة مصطفى البابي الحلبي –مصر – الثانية ١٣٧٥هـ.
٣٧. شذرات الذهب : ابن العماد ، طبعة : دار ابن كثير – دمشق، الأولى ١٤٠٦.
٣٨. الصحاح : الجوهري ، طبعة : دار العلم للملايين– بيروت– الرابعة ١٤٠٧ هـ
٣٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : السخاوي، طبعة : دار مكتبة الحياة –بيروت : الأولى ١٤١٢هـ
٤٠. طبقات المفسرين : السيوطي، طبعة :مكتبة وهبة –القاهرة –الأولى ١٣٩٦.
٤١. طبقات المفسرين: الداوودي ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– الأولى ١٤٠٣هـ.

٤٢.طبقات الشافعية الكبرى : السبكى، طبعة دار هجر – الثانية –١٩٩٢.
٤٣.طبقات المفسرين : للأدنه وي ، طبعة : مطبعة العلوم والحكم –السعودية – الأولى ١٤١٧هـ
٤٤.الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ، طبعة : دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر –بدون .
٤٥.فوات الوفيات : محمد بن شاكر الكتبي ، طبعة:دار صادر –بيروت– الأولى ١٩٧٣م.
٤٦.الكامل في اللغة والأدب : المبرد ، طبعة : دار الفكر العربي – القاهرة–الثالثة ١٤١٧ هـ .
٤٧.الكشاف :الزمخشري ، طبعة : دار الكتاب العربي –بيروت – الثالثة ١٤٠٧هـ.
٤٨.كشف الظنون : حاجي خليفة ،طبعة : دار إحياء التراث العربي–بيروت– الأولى ١٤٢١هـ .
٤٩.كشف اللثام عن بعض أسرار الفرائد القرآنية في سورة آل عمران : د/ محمود حسن علي ، بحث علمي منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ٢٠٢١/١٤٤٢
٥٠.لسان العرب :ابن منظور ، طبعة: دار صادر –بيروت– الثالثة ١٤١٤هـ.
٥١.مجمل اللغة : ابن فارس ، طبعة : مؤسسة الرسالة –بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
٥٢.محاسن التأويل : القاسمي ، طبعة :دار الكتب العلمية – بيروت –الأولى ١٤١٨هـ.
٥٣.المحرر الوجيز : ابن عطية ، طبعة : دار الكتب العلمية –بيروت – الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٤.مختار الصحاح :الرازي ، طبعة : المكتبة العصرية – بيروت ، الخامسة ١٩٩٩م.
٥٥.المخصص : ابن سيده ، طبعة : دار إحياء التراث العربي–بيروت– الأولى ١٤١٧هـ.
٥٦.مسند الإمام أحمد بن حنبل ، طبعة: مؤسسة الرسالة– بيروت– الأولى ١٤٢١هـ
٥٧.المسند الصحيح : الإمام مسلم ، طبعة : عيسى الحلبي – القاهرة – الأولى ١٣٧٤هـ
٥٨.معالم التنزيل : البغوي ، طبعة : دار طيبة للنشر والتوزيع –الرياض – الرابعة ١٤١٧هـ.
٥٩.معانى القرآن وإعرابه : الزجاج . طبعة : عالم الكتب –بيروت ، الأولى ١٩٨٨م.
٦٠.معجم الأدباء : ياقوت الحموي، طبعة : دار الغرب الإسلامي–بيروت– الأولى ١٤١٤هـ.
٦١.معجم اللغة العربية المعاصرة : أحمد مختار عبد الحميد عمر ، طبعة : عالم الكتب – القاهرة –الأولى ٢٠٠٨م.
٦٢.معجم المؤلفين : رضا عمر كحالة ، طبعة : دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى ١٤١٩.

٦٣.مفاتيح الغيب : الرازي ، طبعة : دار إحياء التراث العربي– بيروت ، الثالثة ١٤٢٠.
٦٤.المنار : محمد رشيد رضا ، طبعة : الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة – الأولى ١٩٩٠م.
٦٥.من بلاغة القرآن : د/ أحمد بدوي ، طبعة: نهضه مصر – القاهرة– الأولي ٢٠٠٥.
٦٦.موسوعة التفسير الموضوعي: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، طبعة جامعة الشارقة ، الأولى ١٤٣١هـ.
٦٧.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :يوسف بن تغري بردي ، طبعة : وزارة الثقافة – مصر – الأولى ١٣٨٣هـ.
٦٨.نزهة الأَلِبَّاء في طبقات الأدباء : ابن الأنباري ، طبعة : مكتبة المنار –الزرقاء– الأردن الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .
٦٩.نظم الدرر: البقاعي ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى١٩٩٠.
٧٠.النكت في إعجاز القرآن : الرماني ، طبعة : دار المعارف –مصر – الثالثة، ١٩٧٦م
٧١.نيل المرام من تفسير آيات الأحكام : صديق حسن خان ، طبعة : دار الكتب العلمية–بيروت– الأولي ٢٠٠٣
٧٢.وفيات الأعيان : ابن خلكان ، طبعة دار صادر – بيروت – الأولى١٩٨٧ .

References :

1. al'iitqan fi eulum alqurani:alsiutii , tabeat : alhayyat almisriat aleamat lilkitabi- alqahirat - al'uwlaa 1394h.
2. 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alkitaab alkarim: 'abu alsueud ,tabeat : dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut - althaaniat 1411h.
3. 'asas albalaghat : alzamakhshariu , tabeat : dar alkutub aleilmiat , -birut- al'uwlaa 1419hi.
4. al'asrar albalaghiat fi alfarayid alquraniat : di/eabdallah eabdalghani sarhan , tabeat :dar alhadarati-alrayad- al'uwlaa 1433h.
5. al'asrar albayaniat fi alfarayid alqurania "surat alnisa' namudhajan " : du/ rida muhamad eabdalnabi , bahath eilmi manshur bihawliat kuliyat 'usul aldiyn waldaewat bi'asyut 1443/2022
6. al'iiejaz albayaniu lilquran alkarim wamasayil abn al'azraqa:di/eayishat bint alshaatii'a, tabeat : dar almaearif ,altabeati: althaalithat 2004m.
7. 'iiejaz alquran walbalaghat alnabawiat : alraafieiu , tabeat : dar alkitaab alearabi- bayrut - althaaminatu1425h.
8. al'aelam : alzirikliu , tabeat dar aleilm - bayrut - alsaabieatu1986m.
9. 'afrad kalimat alquran aleaziz : abn faris , tabeat : dar albashayir- dimashqa- al'uwlaa 1423h.
10. 'anwar altanzil wa'asrar altaawil : albaydawiu , tabeat : dar 'iihya' alturath alearabi- bayrut , al'uwlaa 1418.
11. albahr almuhit : 'abuhian , tabeatun: dar alfikr - bayrut - al'uwlaa 1420.
12. albahr almadid : abn eajiba . tabeat : dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa 1423h.
13. blaghat alfarayid alfadhat fi alquran alkarim : du/ kamal eabdialeaziz 'iibrahim , tabeat : aldaar althaqafiat lilnashri- alqahirat - al'uwlaa 2010m
14. blaghat alquran bayn alfani waltaarikhi: du/ fathi 'ahmad eamir , tabeat : munsha'at almaearif - alaiskandariat - al'uwlaa 1983m.
15. albalaghat alquraniat faa nakat alrumaani : du/ eabdalqadir alhamadani , tabeatun: dar ghayda' - eamaan - al'awli 2014m.

16. baghyat alwueaat faa tabaqat allughawiiyn walnuhaat : alsuyutaa, tabeat : almaktabat aleasriat - bayrut - al'uwlaa 1419.
17. albyan fi eid ay alquran : 'abueamru aldaani , tabeat : markaz almakhtutat walturath - alkuayt-al'uwlaa1414hi.
18. alibayan waltabyin : aljahiz , tabeat : dar wamaktabat alhilali- bayrut- al'awli 1423. hu
19. taj alearus :alzubaydii , tabeat :dar alhidayat -alkuayt - al'uwlaa 1965m.
20. tahrir altahbir fi sinaeat alshier walnathr wabayan 'iiejaz alquran : abn 'abi al'asbae , tabeat : aljumhuriat alearabiat almutahidat - almajlis al'aelaa lilshuyuwn al'iislamiat - lajnat 'iihya' alturath al'iislamii, bidun .
21. altahrir waltanwir : altaahir bin eashur tabeatan : aldaar altuwnusiat lilnashr -tunis - al'uwlaa 1984m .
22. altafsir albayaniu lilquran alkarim : du/ eayishat bint alshaati' , dar almaearif - alqahirati- altabeat : alsaabieat 1968m .
23. tafsir alquran aleazim : abn kitir , tabeat : dar tiibat - alriyad , althaaniat 1420h.
24. altafsir alquraniu lilquran : alshaykh eabdalkarim alkhatib , tabeat : dar alfikr alearabii - alqahiratu- bidun.
25. altafsir alwasit : muhamad sayid tantawi , tabeat : dar nahdat misr - alqahirat - al'uwlaa 1998.
26. taqrib altahdhib : abn hajara, tabeat : dar alrashid - suria - al'uwlaa 1406.
27. tahadhib allughat : al'azhariu , tabeat : dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut-al'uwlaa2001m.
28. jamie albayan ean tawil ay alquran : altabarii . tabeat : dar hajr - alqahirati- , al'uwlaa 1422h.
29. aljamie alsahih : albukhariu , tabeatun: dar abn kathir- dimashq - alkhamisat 1414h.
30. aljamie li'ahkam alquran : alqurtubiu , tabeat : dar alkutub almisriat -alqahirat , althaaniat 1384h.
31. jawahir albalaghat : alhashimiu , tabeat : almaktabat aleasriati- birut- bidun .
32. khasayis altaebir alquranii : du/ eabdaleazim almuteanii , tabeat : maktabat wahbat -alqahirat , al'uwlaa 1413.
33. aldarar alkaminat fi 'aeyan almiayat althaaminat : abn hajar , tabeat : dayirat almaearif -alhind , althaaniat 1392.

34. sr alfasahat : alkhafajiu , tabeat : dar alkutub aleilmiat -birut- al'uwlaa 1402h
35. sir 'aelam alnubala' : aldhahabiu , tabeat : muasasat alrisalat - bayrut - althaalithat 1405h.
36. alsiyrat alnabawiat : abn hishami, tabeat mustafaa albabi alhalabii -misr - althaaniat 1375h.
37. shdharat aldhahab : abn aleimad , tabeat : dar abn kathir - dimashqa, al'uwlaa 1406.
38. alsihah : aljawhariu , tabeat : dar aleilm lilmalayini- bayrut- alraabieat 1407 hi
39. aldaw' allaamie li'ahl alqarn altaasie : alsakhawi, tabeat : dar maktabat alhayat -bayrut - : al'uwlaa 1412h
40. tabaqat almufasirin : alsuyuti, tabeat :maktabat wahbat - alqahirat -al'uwlaa 1396.
41. tabaqat almufasirina: aldaawudii , tabeat dar alkutub aleilmiat - bayrut- al'uwlaa 1403h.
42. tabaqat alshaafieiat alkabiraa : alsubkaa, tabeat dar hijr - althaaniat -1992.
43. tabaqat almufasirin : lil'udunuh wi , tabeat : matbaeat aleulum walhukm -alsueudiat - al'uwlaa 1417h
44. alfuruq allughawiat : 'abu hilal aleaskarii , tabeat : dar aleilm walthaqafat lilnashr waltawzie , alqahirat - misr -bdun .
45. fawat alwafyat : muhamad bin shakir alkatbiu , tabeatu:dar sadir -birut- al'uwlaa 1973m.
46. alkamil fi allughat wal'adab : almubarad , tabeat : dar alfikr alearabii - alqahiratu-althaalithat 1417 ha .
47. alkashaf :alzamakhsharii , tabeat : dar alkitaab alearabii -bayrut - althaalithat 1407h.
48. kashf alzunun : hajiy khalifat ,tabeat : dar 'iihya' alturath alearbi-birut- al'uwlaa 1421h .
49. kashf allitham ean baed 'asrar alfarayid alquraniat fi surat al eimran : du/ mahmud hasan eali , bahath eilmi manshur bihawliat kuliyat 'usul aldiyn waldaewat bi'asyut 1442/2021
50. lisan alearab :abn manzur , tabeatun: dar sadir -birut- althaalithat 1414h.
51. mujmal allughat : aibn faris , tabeat : muasasat alrisalat -bayrut - altabeat althaaniat 1406h.
52. mahasin altaawil : alqasimiu , tabeat :dar alkutub aleilmiat - bayrut -al'uwlaa 1418h.

53. almuharir alwajiz : abn eatiat , tabeat : dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa 1422h.
54. mukhtar alsihah :alraazi , tabeat : almaktabat aleasriat - bayrut , alkhamisat 1999m.
55. almukhasas : abn sayidih , tabeat : dar 'iihya' alturath alearbi- birut- al'uwlaa 1417h.
56. musnid al'iimam 'ahmad bin hanbal , tabeatu:muasasat alrisalati- bayrut- al'uwlaa 1421h
57. almusnad alsahih : al'iimam muslim , tabeat : eisaa alhalabi - alqahirat - al'uwlaa 1374h
58. maealim altanzil : albaghawi , tabeat : dar tiibat lilnashr waltawzie -alriyad - alraabieat 1417h.
59. mueanaa alquran wa'iierabuh : alzujaj . tabeat : ealam alkutub - bayrut , al'uwlaa 1988m.
60. maejam al'udaba' : yaqut alhamawi, tabeat : dar algharb al'iislami-birut- al'uwlaa 1414h.
61. maejam allughat alearabiat almueasirat : 'ahmad mukhtar eabd alhamid eumar , tabeat : ealim alkutub - alqahirat -al'uwlaa 2008m.
62. muejam almualifin : rida eumar kahalat , tabeat : dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa 1419.
63. mafatih alghayb : alraazii , tabeat : dar 'iihya' alturath alearabia- bayrut , althaalithat 1420.
64. almanar : muhamad rashid rida , tabeat : alhayyat almisriat aleamat lilkitabi- alqahirat -al'uwlaa 1990m.
65. min balaghat alquran : du/ 'ahmad badawi , tabeatun: nahdah misr - alqahiratu- al'awli 2005.
66. musueat altafsir almawdueii: 'iiedad nukhbat min eulama' altafsir waeulum alquran , tabeat jamieat alshaariqat , al'uwlaa 1431h.
67. alnujum alzaahirat fi muluk misr walqahirat :yusif bin tughri bardi , tabeat : wizarat althaqafat - misr - al'uwlaa 1383h.
68. nuzhat al'alibaa' fi tabaqat al'udaba' kitab fi tarajim allughawiiyn walnahawiiyn wal'udaba'i: abn al'anbari , tabeat : maktabat almanar -alzarqa'- al'urduni altabeat althaalithat 1405h .
69. nuzam aldirar: albiqaeiu , tabeat dar alkutub aleilmiat - bayrut - al'uwlaa1990.

70. alnukt fi 'iiejaz alquran : alrumaanii , tabeat : dar almaearif - misr - althaalithati, 1976m
71. nil almaram min tafsir ayat al'ahkam : sidiyq hasan khan , tabeat : dar alkutub aleilmiati-birut- al'awalii 2003
72. wfiaat al'aeyan : abn khalkan , tabeat dar sadir - bayrut - al'uwlaa1987 .